خواطر في الأنوار والأسرار

إعداد

د / واصف أحمد فاضل كابلي

بسم الله الرحمن الرحيم

((إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)) .

العماد الأصفهاني

))إن كتابي هذا يعبر عن ما يجول بخاطري منذ سنوات، قد مر بالحكمة التي قالها الأصفهاني بمرور كتابي على سادتي العلماء والفقهاء والمقربين... ولقد وددت نشر هذه الخواطر... لأبرهن بقدر فهمي البسيط لأمثالي من البسطاء فهم الحقيقة التي هي معلومة لدى أهل الإ يمان وأهل الحقيقة الذين فقهوا القرآن والسنة)) .

د / واصف أحمد فاضل كابلي

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم إمام المتقين وخاتم المرسلين ونور رب العالمين سيدي وقرة عيني محمد الهاشمي عبد الله ورسوله الفاتح لما أغلق الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراط الله المستقيم، الذي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب عند رب العالمين، صلاة تكون لنا نوراً وفرحاً وسروراً، دائمة بدوام الله العظيم بعدد كل مخلوق ومنطوق إلى يوم الدين.

وبعد... فإن كتابي هذا في الأنوار والأسرار الإلهية المحمدية المودعة في الكون هي خواطر خاصة تتردد في ذهني وأسجلها بقلمي وأعرضها على إخواني في الله للتفكر والتبصر في أسرار الكون وقد تكون للبعض منطقية ومعلومة ومفهومة. وقد تكون للبعض الآخر مجهولة وغير مفهومه ومستنكرة وللآخرين بدعة مذمومة وإلحاداً، كلاً يقيسها بما أوتي من نور وعلم وفهم وإ يمان وكشف عن الحقيقة المنظورة والمجهولة.

لقد نشرت عدة كتب أولها في سيرة سيدي ﷺ والفرح والسرور العظيمين الذي نعيش على ذكراه في كل لحظة ويوم وفي كل ليلة اثنين من كل أسبوع وشهر وعام وثانيها في سيرة أسد الله سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وحبر هذه الأمة عبد الله بن العباس رضي الله عنهما.

وثالثهما في مناقب السيدة الكر يمة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ورابعها في مناقب سيدتنا فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها وختمتها بكتاب خامس في شرعية الاحتفال والاحتفاء بالذكرى والمناقب لسيرة سيد هذه الأمة وصحابته وأهل بيته لنلتمس النور والمعرفة والحب والاقتداء بسيرتهم والتخلق بأخلاقهم وتذكير أنفسنا بهم وأبناءنا وإخواننا في كل وقت يتاح لنا الدعوة لها بشتى الطرق المتاحة.

أنا طالب علم وناشر ومعد للرسائل ولست مؤلفاً أو عالماً. أتشرف بجمع السيرة وآراء العلماء وما اجتهد في جمعه إخوة وسادة هم أهل الفضل علي وعلى من يستفيد من هذا الجمع.

وأخيراً أسأل الله أن لا يكون آخر العطاء.

وهذا الكتاب في الخواطر والأسرار والأنوار التي نلتمسها من هدي حبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله، وما فهمت منه، وهذا القليل يحتاج إلى كتب ومجلدات للباحثين والمتخصصين في كل مجال من الأنوار والإشعاعات غير المرئية.

ولقد فهمتها من منطوق الحديث الشريف أو الآية القرآنية وحللتها بمنظوري الخاص بأسلوبي المتواضع حيث أنني لست أديباً أو كاتباً أو عالماً، بل بإسلوب طالب العلم رغم أنني أمتهن التجارة ولم أفكر بالمتاجرة في هذه الكتب. بل هي لله ومحبة رسول الله، فمن أراد طبعها ونشرها وترجمتها فهي حق عام لجميع المسلمين، أسأل الله أن يثيبنا جميعاً، حسب نيتنا فهو أعلم بالنيات ويعاملنا بما هو أهل له.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

الحمد لله الذي جعل حب حبيبه ﷺ معراجاً إلى التمسك بالعروة الوثقى والثبات على الاستقامة التي تستمر وتبقى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سراج الكون الذي بدايته ﷺ نهاية من ترقى وعلى آله وأصحابه أهل الأشواق والأذواق مصابيح السنة في جميع الآفاق. وبعد...

فإن الخواطر الربانية واللطائف النورانية التي يفيضها الله على قلوب من يشاء من عباده بواسطة منبع الهداية المهدي، وكنز الحقائق والدقائق المخفي، هذه الخواطر والأنوار إذا امتلأ بها قلب المؤمن السالك أثارت له نشاطاً وتوجيهاً إلى الله تبارك وتعالى وانجذاباً إليه في كل لحظة تطرف فيها عين وكانت بالنسبة لصاحبها مغناطيساً روحانياً وقبساً ربانياً، لا يخبو داخل قلبه، وحققنا الله وأحبتنا بها على الوجه الذي يرضيه وجعلنا من المقيمين في محبته ومرضاته آمين.

ولاشك أن من أكبر دواعي محبته تعالى وطاعته، محبة رسوله سيدنا محمد ﷺ، ومصداق ذلك تجده في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران : ٣١

وقوله تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ . (١)

فمحبة النبي ﷺ إسراء في حد ذاتها ومعراج للقلب والروح إلى سماء المعاني والأخلاق السامية ، وشمس تنصهر بضوئها سبائك النفوس لتعود مهذبة علوية ملكية بعد أن كانت بهيمية أرضية .

وفائدة الاحتفال بالإسراء والمعراج ـ وإن كانت غير محصورة ـ إلا أن من أهمها استخلاص العبر من إسرائه ﷺ ، وفتح المجال أمام الروح والقلب ليهبا من مرقدهما ، ويتصلا بفرقدهما ، ويستنتج المؤمن بهذا الإسراء تغير حياته من حياة عادية ، إلى حياة ربانية عبادية ، لا نهاية لمظاهر كمالاتها ويتخذ ذكر الله موطناً لروحه ، ومحبته ﷺ غذاء لها يدوم مدة حياته الفانية مرتبطاً بوطنه محافظاً على صحته بجودة غذائه ، ويستخلص من شق صدره ﷺ ثلاث مرات ـ كما قال في السيرة النبوية ـ :

وشق صدر أشرف الأنام	وهو ابن عامين وسدس عام
وشق للبعث وللإسراء	أيضاً كما قد جاء في الأنباء

يستخلص من ذلك أنه ﷺ كما خلّقه الله واصطفاه لرسالته ونزع منه المضغة التي قد يفترض أن يكون للشيطان فيها حظ ، وزاد في طهارته وتقديسه بعد ذلك ، وقواه على احتمال ما لا يحتمل أدناه غيره ، من الخير والأنوار المطلقة وجعله محل خلته وتلقيه وناهيك بها من درجة ومن مكانة تخر لها الجبال دكاً ، فلله الحمد على بعثته ولله الحمد على رسالته ولله الحمد على هديه ولله الحمد أن جعلنا من أمته .

---

(١) سورة النساء : ٦٥

وقد كُتِبَتْ حول هجرته وبعثته ومسراه ومعراجه آلاف المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، المنظومة والمنثورة. غير أن الوفاء بذلك أمر لا يد لأحد عليه مهما كان علمه وإطلاعه لأن أوصافه ﷺ ومزاياه بحر محيط لا تدرك أعماقه ولا تسبر أغواره، ولا تستشف حقائقه وأخباره، فجزى الله من أعملوا الأبصار والبصائر في السقيا من ذلك البحر بأنفس الذخائر ولم يرجع أحد منهم إلا بخير كثير ومجد خطير فهو البحر الذي تجيء بذخائر الأخائر وراده، وتنتعش بكمال الجمال قصاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

د / واصف أحمد فاضل كابلي

الباب الأول

بداية الخلق

والأنوار

بداية الخلق

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره (في حديث طويل) أورده العجلوني في كشف الخفاء ج١/٣١١ قال رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر. وهذه قصة طويلة حتى خلق الله سيدنا آدم وأودع هذا النور في طينته.

ولقد سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة، قال: « وجبت لي النبوة وآدم مجندل في طينته » (١)

وهو أول من يبعث وتنشق عنه الأرض.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأكسى حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري » رواه الترمذي.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢). في عالم الذر ـ شع نور رسول الله ﷺ ـ (ومنها) من انزوى عن هذا النور وضل.

(١) أورده ابن الجوزي في كتاب الوفاء ج أول ص٣٣ عن العرباض بن سارية، وروى البغوي في شرح السنة عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال ((وجبت لي النبوة وادم مجندل في طينته)) أورده ابن الجوزي، فسيدنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم خلق من نور.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢

ضلالاً أبدياً. ومنها ما تعارف في عالم الذر (ومنها) ما تناكر. وهذا ما نلاحظه من تآلف الناس وتناكرها في الخير والشر وخاصة عندما تتلاقى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم.

قال صاحب الإبريز سيدي عبد العزيز الدباغ أول ما خلق الله تعالى نور نبينا سيدنا محمد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ. قال ثم خلق ملائكة الأرضيين من نوره ﷺ فكانت الملائكة والأرواح يعبدون الله تعالى وذلك قبل خلق الشمس والقمر والنجوم.

وقال في موضع آخر في الإبريز لما خلق الأرواح سقاهم الله من نوره ﷺ فمنهم من استحلى ذلك فشرب ومنهم من لم يستحله فلما أراد الله أن يميز أحبابه عن أعدائه وأن يخلق لأعدائه دارهم التي هي جهنم أعاذنا الله منها، جمع الله الأرواح وقال لهم ﴿ألست بربكم﴾ فمن استحلى ذلك النور وكانت منه إليه رقّه وحنو أجاب محبة ورضاء، ومن لم يستحله أجاب كرهاً وخوفاً فظهر الظلام الذي هو أصل جهنم وجعل يزيد في كل لحظة، وجعل نور المؤمنين يزيد أيضاً في كل لحظة، فعند ذلك علموا قدر النور الكريم.

وقد تلتقي بشخص لأول مرة وكأنك تعرفه منذ زمن، وذلك لأن الأرواح تعارفت وتلاقت في عالم الذر، ومنهم من هداهم الله وبلغوا درجة عالية في العلم والعطاء وهي بقدر ما نالها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ومنها ما ضلت وشقيت وابتعدت عن الهدى بسبب انزوائها عن النور.

عن عبد الله بن شقيق رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك

النبوة قال : « وآدم بين الروح والجسد » (١)

ورسول الله نور من نور الله يهدي بنوره من يشاء من خلقه ونوره باق ملموس. ومن عترته ومن أحبهم، اكتسبوا من نوره وهديه إلى أبد الآبدين إلا من ران على قلبه كأبي لهب...

والران هو الرصاص ومن غلف قلبه بالران كان مثل الغرفة التي عزلت بمادة الرصاص لن يصلها أي نوع من الإشعاعات المرئية والغير مرئية، فغرفة الأشعة في أي مستشفى تعزل بالرصاص لكي لا تنفذ الأشعة إلى غرف المرضى. كما أن مرافق المريض في غرفة الأشعة يرتدي درعاً أو جاكيتاً مغلفاً بالرصاص.

وأجهزة الإرسال والاستقبال لن تتلقى أو ترسل من داخل الغرفة أو لخارجها وكل المواد المشعة تحفظ داخل براميل من الرصاص لكي لا تنفذ منها الإشعاعات الضارة إلى البشر، وهكذا نور نبينا ﷺ موجود ولن ينال الضالين ممن ران على قلوبهم. ونور نبينا انتقل إلى ورثته عموماً أحفاد سيدنا الحسن وسيدنا الحسين خصوصاً وأحفادهم يتوارثونه، وقد أثبت العلم الحديث علم الجينات الوراثية وانقسام الخلية.

لقد أرسل الله أنبياءه ورسله وهم حاملون نور الله واختتم الله رسالاته بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصحوباً بكلام الله وكتابه القديم الهادي إلى الصراط المستقيم. ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٢)

فمن آمن بالرسالة اهتدى بهدي نبينا سيدنا محمد ﷺ ناله من النور بقدر الاتباع والعمل وبقدر ما حفظ من كتاب الله وعمل بهديه.

فكتاب الله فيض من الأسرار والأنوار، يتشبع به الجسم إذا وقر في القلب

(١) رواه الامام أحمد ، هذا شرح تفسير القاضي عياض عن سورة النور من كتابه المسمى (الشفا)

(٢) سورة المائدة : ١٥

وعمل بأحكامه. وإذا لم يمزج القلب بحب الرسول ﷺ وعمل بهديه وتفانى فيه ووقر في قلبه أكثر من حبه للدنيا وحبه للزوجة والولد ما بلغ قمة الإ يمان. والحديث معروف ما دار بين سيدي رسول الله ﷺ وسيدنا عمر بن الخطاب، عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: « والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال عمر فأنت الآن أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ: « الآن يا عمر » (١)

وقول رسول الله ﷺ: « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة وصيام ولكن بشيء وقر في صدره » ذكره الحكيم الترمذي في النوادر (٢)

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد — طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا — من البرية لم يعدل به رجلا

وأقرب مثل معروف لدينا هو تكوين الماء من الأكسجين والهيدروجين لا يمكن تكوينه من عنصر واحد فقط H_2O.

فالإ يمان يزيد وينقص بقدر الحب لرسول الله ﷺ والتفاني في حبه بطاعته وحب أهل بيته واتباع هديه، والإ يمان يزيد وينقص باتباع أحكام كتاب الله وحفظه والعمل به ليصل كل ذلك إلى القلب. وأما من ران على قلوبهم فلن يتجاوز الحفظ الدماغ واللسان ولا يتجاوز تراقيهم إلى القلب. صدق رسول الله ﷺ.

فكتاب الله باق والعترة الطاهرة إلى قيام الساعة باقيه لن نضل طالما تمسكنا بهما كما جاء في الحديث الشريف بذلك «إني تارك فيكم كتاب الله حبل

(١) رواه البخاري .
(٢) الجزء الأول ص ٢٨٢

ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي آل بيتي» ، فلا يعرف أسرار الدار إلا أهلها. قال الشيخ إبراهيم الباجوري في شرح مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لسيدي أحمد الدردير جعل الله نور سيدنا محمد ﷺ في ظهر آدم عليه السلام ولذلك كانت الملائكة خلفة صفوفاً ينظرون إلى تلألأ نوره ﷺ إنما اختير الظهر لذلك لأنه مجمع القوى وفيه إشارة إلى أنه سبب ظهوره،

وروي أن آدم عليه السلام قال يا رب اجعل هذا النور في موضع أراه فجعله في سبابته، فكان آدم ينظر إلى حسن ذلك النور، فقال يا رب لعله بقي شيء من هذا النور في ظهري فقال نعم، نور أصحابه فقال يا رب اجعله في بقية أصابعي فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الإبهام رضي الله عنهما فكانت الأنوار تتلألأ في أصابع آدم عليه السلام ما دام في الجنة، فلما أهبط إلى الأرض ومارس أعمال الدنيا زالت الأنوار ورجعت في ظهره ثم انتقلت إلى حواء عندما حملت بشيث فكان يلمع في جبين شيث عليه السلام، وما زال النور ينتقل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال حسان بن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال بعضهم :

تنقل نور المصطفى سيد البشر ... إلى ظهر آدم كان أضوأ من القمر
وكان يرى الأملاك تأتي من السماء ... وتسجد إجلالاً إلى باري الصور
وتعلن بالتسبيح شكراً لربها ... وترفع للمحمود جل الذي قهر
لقد جاء في الإنجيل نعت صفاته ... كما جاء في التوراة أيضاً وفي السور

ولما رأى الأملاك تأتي لظهره	وتسجد إجلالاً له آدم انبهر
وقال إلهي ذلك النور من يكن	فإني أرى الأملاك تأتي له زمر
فقال له الرحمن نور محمد	من اخترته من سائر البدو والحضر
فقال له يا رب إني أريد أن	يكون أمامي كي أمتع به النظر
فتجعله في سبابتي وأنيسه	أبا بكر الوسطى وفي بنصري عمر
وفي خنصري عثمان ذا النور والبهاء	والإبهام فيه حيدر الطهر ذو الفخر
فإن سبح المولى فمعه مسبحاً	محمد والأمجاد أصحابه الغرر

وقال العباس :

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض	وضاءت بنورك الأفق
فنحن من ذلك النور والضياء	وسبل الرشاد تخترق

الأنوار

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١)

نور على نور وشبهه بالزجاج دون سائر الجواهر لاختصاص الزجاج بالصفاء يتعدى النور من ظاهره إلى باطنه وبالعكس وكذلك نور الإ يمان يتعدى من

---

(١) سورة النور : ٣٥

قلب المؤمن إلى سائر الجوارح والأعضاء. وأيضاً أن الزجاج سريع الانكسار بأدنى آفة تصيبه، فكذا القلب سريع الفساد بأدنى آفة تدخل فيه وإنما شبه المعرفة بالمصباح وهو سريع الانطفاء. وشبه قلب المؤمن بالزجاج وهو سريع الانكسار، قال القشيري رحمه الله ﴿نور على نور﴾ نور اكتسبوه بنظرهم وجهدهم واستدلالهم ونور وجدوه بفضل الله بأفعالهم وأقوالهم قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(٢)

عن سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « كنت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق آدم أودع ذلك النور في طينته » (٣) مصداقاً لقوله تعالى :﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ × الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ × وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾(٤)

إن هذه الأنوار الإلهية أودعها الله تعالى في صلب سيدنا آدم عليه السلام ولم يزل هذا النور (نور سيدنا محمد ﷺ) ينتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة حتى أخرج الله عز وجل نبينا سيدنا محمد ﷺ من بين أبويه لم يلتقيا على سفاح قط (٥)

---

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩

(٣) ذكره القاضي عياض في الشفا وأورده ملا على قاري في شرح الشفاء ، وتقول بالحديث : ((فاهبطني الله عز وجل إلى الأرض في ظهر ادم وحملني في سفينة في صلب نوح وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في النار ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة ، حتى أخرجني الله من بين أبوي وهما لم يلتقيا على سفاح قط)) .

(٤) سورة الشعراء : ٢١٧ – ٢١٩

(٥) السفاح : الزواج بدون عقد أو مكاتبة أو العشرة لمدة اتفقا تزوجا أو انفصلا عن بعض (وهو زنا)

وكوننا لا نستطيع رؤية هذا النور لا يعني أنه غير موجود وعلى سبيل المثال موجات الراديو الصوتية والتلفاز المرئية موجودة في كل بيت ولا يمكن سمعها ومشاهدتها ولمسها إلا بأجهزة الاستقبال مثل الراديو والتلفاز والتلفون والفاكس. والأكسجين موجود في الهواء ولكن نحس به في الهواء لا نراه ولا نستطيع العيش بدونه.

وإذا لم تر الهلال فسلم   لأناس رأوه بالأبصار

(يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) (١) إن هذا النور الإلهي استفادت منه البشرية كلها منذ خلق الله آدم عليه السلام. وتعاظمت هذه الأنوار بمولد نور الأنوار سيد الأولين والآخرين الأخيار سيدنا محمد ﷺ واكتمل النور بنزول القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾(٢) . ولقد اكتسب من هذا النور كل من آمن بالرسالة ولقي رسول الله ﷺ وحفظ القرآن واهتدى بسنته واقتدى وعمل بهما، قال رسول الله ﷺ: « ينقطع يوم القيامة الأنساب والأسباب إلا نسبي وسببي » رواه الإمام أحمد.

ولقد انتقل نور النبوة إلى أهله وخلفائه وصحابته عموماً وإلى السيدة البتول سيدتنا فاطمة الزهراء وأبنائها عليهم السلام خصوصاً ولا يزال ينتقل فيهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولن تقوم الساعة وعليها أحد من أبنائها رضي الله عنها، ولا من حفظة القرآن وهذه من علامات القيامة.

وأخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال، أن النبي ﷺ قال: « النجوم أمان السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض » . وفي رواية الإمام أحمد

---

(١) سورة النور : ٢٤

(٢) سورة النساء : ١٧٤

« فإذا ذهبت النجوم ذهبت السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهبت الأرض » وفي رواية « وإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض ما يوعدون » رواه أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع.

ونحن نلتمس النور من القرآن والسنة والعمل بهما ومن حفظته من المؤمنين ومن ذريته ﷺ العاملين به إلى يوم الدين.

تأثير الأنوار

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وأما أن تبتاع منه. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة »(١). صدق من لا ينطق عن الهوى فهذا الحديث له معنى بليغ في حياتنا وتعاملاتنا اليومية، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريح طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة. ولشرح المعنى وتقريب المفهوم منه في تعاملاتنا اليومية مع البشر، إنك إذا دخلت مثلاً محل بيع العطور فأول ما يفتح الباب تفوح رائحة زكية تشمها فوراً وإذا تجولت في المحل انتقلت الرائحة إلى ثيابك وتشبعت بها، وإذا اقتربت من البائع يحاول أن يغريك بأنواع العطر الذي لديه حتى تقتنع أو يقنعك، بما لديه لتشتري وتقتني منها. لذلك دعانا الهادي ﷺ إلى تلمس النور والهداية والسلوك الحسن من بعده، بمجالسة أهل النور آل البيت والعلماء العاملين، ومجالس العلم والذكر والتردد على المساجد وعلى رأسها المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، لما فيها من أنوار إلهية ونبوية وعلمية لما في هذه المجالس من قراءة القرآن وذكر

(١) رواه البخاري

الله عز وجل وسيرة نبيه ﷺ ، وهديه وسنته من ورثته والصلاة عليه ﷺ .

قال رسول الله ﷺ « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه الإمام مسلم. ومن هذا المنطلق يظهر جلياً أثر جلساء السوء وأهل الضلالة والهوى والمبادىء الفاسدة والسقيمة عبدة الشيطان وأعوانه فإن مصاحبتهم ومجالستهم والاستماع لهم لها نفس التأثير المشار إليه في الحديث فإن العدوى بهذا المكروب الغير المرئي تأثيره في النفس والعقل والجسم، تنتقل وتشقى وتطل بظلمتها المشعة كل من يقترب منهم، فالأنوار والظلمة كالإشعاع النافع والضار يؤثر في البشرية.

الأنوار وتأثيرها في البشرية

إن تأثير الأنوار والأسرار لا ترى بالعين المجردة وتنتقل من شخص إلى آخر ولتقريب المفهوم اضرب مثلاً حياً بالإشعاعات النافعة والضارة بأنواعها . . .
فمنذ سنوات عديدة حدث شرخ في المفاعل النووي في روسيا (تشارنوبل) وتسرب الإشعاع ودمر النبات والحيوان وتأثر البشر المحيطون بالمفاعل بتدمير الخلايا البشرية وتسبب في عاهات عديدة، ووصل التأثير آلاف الكيلو مترات. وتأثرت الجمادات والتربة إلى يومنا هذا، وهذا الإشعاع غير مرئي فلو نقلنا من هذه التربة إلى منطقة خالية من الإشعاع وزرعنا نباتاً في هذه التربة وفحصنا النبات لوجدنا النبتة مشبعة بالإشعاع الضار، فانتقل الإشعاع إلى النبتة ولو تغذت البقرة من هذه النبتة انتقل الإشعاع الغير المرئي للحمها ولبنها ولو أكل لحمها أو شرب لبنها لانتقل إلى الإنسان.
أي أن التربة احتفظت بالإشعاع المكتسب من المفاعل وهذا مقنع للعلماء والمعلمين، وينكرون انتقال الأنوار من العلماء إلى المريدين، وكذلك الضلالة تنتقل من الضالين إلى جلسائهم. (وقد ورد في الأثر : من تخلق

بخصلة لا تخلو جلساؤه منها ومن جالس جانس.

ومثلاً آخر بالإشعاعات المنبثقة من أجهزة الأشعة المخصصة لعلاج المرضى فهي لا ترى بالعين المجردة ولا يمكن لمسها أو شمها ولكنها مؤثرة على الخلايا البشرية بالعلاج وإذا زادت كميتها زاد تدميرها لذلك فإن غرفة الأشعة مصفحة بالرصاص لكي لا تؤثر على باقي المرضى في الغرف المجاورة، وكذلك من يعمل داخل الغرفة يرتدي درعاً واقية من الرصاص، أو يراقب من غرفة مصفحة بالرصاص، ومن المعلوم أن غرفة الأشعة المبطنة بالرصاص لا يمكن فيها استقبال أي جهاز لاسلكي أو استقبال أي موجات صوتية أو مرئية إلا بواسطة سلك وهذا مبحث آخر سنتطرق له فيما بعد.

الران هو الرصاص

ومما سلف ذكره نستنتج أموراً كثيرة تثبت انتقال الأنوار والأسرار غير المرئية للمريدين وعدم وصولها وتأثيرها على الآخرين، فمجالس الخير والقرآن والذكر ومصاحبة الصالحين ومصافحتهم تنقل الأنوار وتتغذى أجسامهم وتصل إلى قلوبهم، إلا من ران على قلوبهم فلن يصل إليه الهدى والنور قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١). لأنه مثله مثل غرفة الأشعة التي لا يصل إليها الإرسال والإشارات اللاسلكية ومثل من ارتدى البدلة أو الساتر الرصاصي لن يؤثر فيه الإشعاع حتى يأذن الله ويخلع الدرع الواقي من الأنوار والهداية، قال تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (٢)

---

(١) سورة النور: ٤٠

(٢) سورة المطففين: ١٤

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

وهذه الأنوار والأسرار الإلهية تكتسب بقدر ما حفظ أو قرىء من القرآن وعمل بما يقرأ وتفقه في الدين والسنة النبوية وعمل بها وأكثر من الذكر والصلاة على النبي ﷺ وتردد على الصالحين واستفاد من فيوضاتهم فيزداد هذا النور ويتعاظم فيكسب ويكسب أي يأخذ ويعطي.

المدد (٢)

كل إنسان بداخله طاقة كهربائية قد تكون عالية جداً أو ضعيفة.

وهذه الطاقة تتكون من جانب موجب وآخر سالب. الموجب (+) لتجميع الشحنة والطاقة في الجسم. والسالب (−) لتفريغ أو تقليل هذه الشحنة. إذاً الإنسان جسم موصل للكهرباء وهذا علم قد يماً عرفه الصينيون ويسمى شاي... CHII وهي الطاقة الحيوية بالجسم من خلال نظام القنوات أو الزوايا في الجسم والآن بدأ هذا العلم يدرس في الغرب وأميركا. قال تعالى : ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الأخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾. وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾(٣)

(١) سورة المطففين : ١٤ . رواه ابن ماجه ج٢ ص ١٤١٨ ، وهنا نفهم المعنى الجديد للران وهو الرصاص .

(٢) المدد : دفعة نورانية من قلب نوراني لا تتلقاه إلا القلوب النورانية .

(٣) سورة الإسراء : ١٧

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(١)

وأبسط الأمثلة شعورك بالقشعريرة عند البرد أو الخوف. والتواجد عند سماعك قصيدة أو موشح أو أغنية أو موسيقى وأي شيء يؤثر في نفسك أو عند ملامسة جسمك بجسم آخر أكثر حيوية وطاقة منك أو عند ملامسة يدك لكرة الباب.

إن كل إنسان فيه شحنات كهربائية تشعر بها عند مصافحة شخص تفوق شحنته شحنتك تشعر بماس كهربائي وهو تفريغ ممن لديه الشحنة العالية لمن لديه شحنة أقل، وهكذا الأنوار تنتقل من العالم للمريد. فالقوي يمد الضعيف وهذا ما يلاحظ في مجالس حلق الذكر من تشبيك الذاكرين أيديهم ببعض ما هي إلا توصيل أو نقل شحنة من شخص أكثر من الأول.

ومثل آخر هناك بطاريات قابلة للشحن وأخرى غير قابلة للشحن، فالأولى تحتاج إلى شحنات يومية وأسبوعية وهكذا تستمد من قراءة القرآن ومجالسة الصالحين وحضور مجالس الذكر حيث تتنزل الملائكة ويحصل المدد من الله، وهنا يظهر لنا معنى كلمة مدد وتقول مدد يا الله أو مدد يا رسول الله أي تسأل المدد بجاه رسول الله أو تطلب الدعاء من الرسول ﷺ. قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾(٢)

وكثيراً ما نسمع الجمل التالية :
مدد يا الله... مدد يا رسول الله... مدد يا أولياء الله... مدد يا سيدنا علي... مدد يا جيلاني. المدد هو من الله يسوقه على يد من يشاء من عباده

---

(١) سورة فصلت : ٥٢

(٢) سورة النساء : ٦٤

فقد ورد عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهنا برز الخلاف بين العامة ممن يبصرون بدون بصيرة، والبصيرة هي أنوار الله وهديه يهبه لمن يشاء من عباده بدرجات مختلفة من شخص لآخر. وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾(١). وأي مدد أعظم مما مد الله الأبناء بصلاح الآباء ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾(٢)

وقيل من بعض العامة أنه شرك ولا يجوز طلب المدد والعون من غير الله... فهل شقوا عن قلوبهم وعرفوا نيتهم، أنهم يستعينون بغير الله ويشركون الرسول ﷺ وأولياءه في القدرة ؟ وعلى سبيل المثال... في الحروب يطلب قائد الفرقة المدد والعون من القيادة... فهل هذا مشرك؟ فلماذا لم يطلب المدد من الله.

والجواب أن الله هو المالك المعطي وطلب المدد من خلقه لأنهم من عطاء الله وقال تعالى: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(٧)
فالقيادة من عطاء الله والطلب من القيادة هي من عطاء الله ويقول البعض إن هذا جائز من الأحياء ولا يجوز طلبه من الأموات، والأحياء قادرون على العطاء والأموات غير قادرين على العطاء وبهذا المعنى هو صحيح، ولكن طالب المدد من الأموات لا يطلب المدد المادي بل المعنوي، وهو طلب الملاحظة منهم من أرواحهم المطلقة فقد قالوا إن الأولياء يظهر مددهم بعد وفاتهم أكثر منهم في حياتهم لإطلاقة الروح بعد الموت. والأصل هو الطلب من الله بجاههم وعملهم الصالح.

---

(١) سورة الطور : ٢١

(٢) سورة الكهف : ٨٢

(٣) سورة التوبة : ١٠٥

وأمثلة أخرى : هذا الطعام أشبعني. والماء أرواني وهذا الطبيب شفاني أو الدواء شفاني وهذا أغناني بعطائه وهذا أفقرني بحصاره. الخ.. وكلها من الله وما هي إلا وسيلة من وسائل الله.

أنوار المجالس

وهنا أناشد المسلمين بتلمس الأنوار والتزود منها بهدي رسول الله ﷺ في كل وقت، بحضور مجالس العلم والذكر التي تحفها الملائكة واغتنام هذه الفرص للتزود منها بحضور هذه المجالس الطيبة النيرة فإن خير الزاد التقوى، عن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد في السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات » (١) ، وفي رواية عن سهل بن الحنظلية قال، قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل فيه، فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر لكم وبدلت سيئاتكم حسنات » (٢)

فهذا يؤكد على أن الذكر يكون جماعة ولو كان كل شخص يذكر مفرداً لما دعت ضرورة ذكر اجتمعوا أو جلس قوم مجلساً يذكرون.

أخي الكريم إن الاجتماعات هي نوع من أنواع الاستزادة بالخير والنور بتنوع مباح جذاب، إنشاد وإرشاد لا يؤدي إلى الملل لساعات متواصلة بفضل التنويع لكي لا يحدث سأم أو ضيق، فهي تبدأ بتلاوة القرآن ثم المدائح النبوية ثم كلمة المجلس في أخلاق رسول الله، والروايات والقصص عن الغزوات

---

(١) أخرجه الدمياطي في المتجر الرابح ص ٤١٩

(٢) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإ يمان .

النبوية والنصائح وقراءة السيرة ثم الدعاء والختم بآيات من القرآن ولقاء الأخوة والمحبة والتعارف يتجدد لا يجمعهم إلا محبة الله ورسول الله ﷺ.

بجانب ذلك لابد من مجالس لتعليم القرآن وتجويده فقد صح عنه ﷺ: « أن الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة »(١٠) ومن مجالس للتفقه في دين الله فقد صح عنه ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقه في الدين » (١١).

ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد. ومن مجالس لتقويم اللسان العربي بعلوم اللغة العربية لكي لا نلحن في القرآن الكريم ولا في حديث النبي ﷺ. ورحم الله ابن الوردي الذي يقول في لاميته موصياً ولده :

جمل المنطق بالنحو فمن ... يحرم الإعراب بالنطق اختبل
اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل
واحتفل للفقه في الدين ولا ... تشغل عنه بمال وخول

ورحم الله من قال : من يتصوف ولم يتفقه فقد تزندق.

زيارة القبور

قال رسول الله ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي أنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً » رواه الإمام أحمد.
لقد أمرنا رسول الله ﷺ بزيارة القبور وحثنا عليها لما فيها من منافع مرئية وملموسة، فقد كان رسول الله ﷺ يسير يومياً لزيارة القبور وزيارته ﷺ

(١٠) رواه البخاري .

(١١) رواه مسلم .

رحمة ونور لهم للدعاء لهم وتذكرنا الآخرة، وزيارتنا للقبور وللصالحين تذكرنا بسيرتهم العطرة للاقتداء بهم ونستمد من أنوارهم. ولترقيق قلوبنا بالانتباه إلى ما سوف تصير إليه ولتفقد العزم علي العمل قبل الانقطاع. قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١). عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها بصلاتي عليهم » (٢)

الإشعاع النوراني AURAA الهاله

لكل إنسان أنوار إلهية مشبعة في جسمه تزداد بقدر إ يمانه وتلاوته وحفظه للقرآن والعمل به وبهدي نبيه ﷺ لا ترى بالعين، لا يراها إلا المؤمن الذي نور الله بصيرته. وتزداد بالصلة بالصالحين وأخذ الأوراد عنهم والانتساب إلى المربين والمرشدين العارفين منهم والسير على دربهم والرجوع إليهم والاستئذان منهم في ما يراد فعله.

وعلى العموم توصل العلم الحديث إلى معرفة الهالة النورية التي تحيط بكل البشر وأطلق مكتشفها AURAA بالأورا ولها جهاز يبينها، وهو علم حديث له شجونه وأبحاثه العلمية فقد أمكن تصويرها للنبات والجماد ولجسم الإنسان حيث تظهر من حوله كما تظهر الهاله حول البدر.

فالعين لا ترى كل ما في الوجود بالعين المجردة، بل بالأجهزة المتطورة فلقد صنعت كمرات تصور بالأشعة تحت الحمراء HEFRA REDD وتصور حتى في الظلام الدامس كما حدث في حرب الخليج. بمعنى إذا لم نستطع مشاهدة

(١) صورة التوبة: ١٠٣ .

(٢) رواه مسلم .

شيء ما فلا يعني إطلاقاً أنه غير موجود، كما ضربنا المثل السابق نحن لا نرى الأكسجين ولكن نحسه في الهواء الذي يحتوي على الأكسجين وكذلك رؤية الموجات الصوتية والمرئية موجات الراديو والتلفاز التي في الهواء بل في كل غرفة ولكن لا نراها ولا نسمعها لولا أجهزة الراديو والتلفاز التي تجمعها وتكثفها لسماعها ورؤيتها. (ويسمى جهاز الاستقبال(

أسرار الأنوار

الطاقة قَدّر الله لها بأن لا تفنى والنور طاقة.

من المواضيع السابقة للأنوار المشعة المنبثقة من الأماكن المقدسة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وبيوت الله المساجد وكذا من القرآن ومن الحديث النبوي ومن النبي ﷺ ومن كل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والعلماء والأولياء والعاملين بالشريعة الأحياء والأموات وخاصة منهم آل البيت الذين يتضاعف نورهم بعلمهم وانتسابهم إلى بيت النبوة.

فمن موضع الكعبة دحيت الأرض اليابِسة بدءاً، انظر تفسير جزء عم للشيخ شاكر الحمصي عند قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾(١). فالكعبة مصدر النور للأرض فهو يمتد من البيت المعمور في السماء السابعة إلى الأرض السابعة والمساجد كونها بيوت الله استمدت أنواراً إضافية من تردد الأنبياء عليها الممتدة من نور سيد البشرية نور الأنوار سيدنا محمد ﷺ وآل بيته الذين توارثوا هذا النور ثم العلماء الذين اكتسبوا النور من القرآن المجيد ومصاحبة النبي ﷺ والآخرين الذين اهتدوا بهديه مقترناً بحبه، فبقدر الحب يتعاظم النور ويتعاظم معه الاتباع، لا الابتداع المرفوض من

(١) سورة النازعات: ٣٠.

الشرع الذي لا أصل فيه. وانظر الإبريز (ج١) عند كلام سيدي عبد العزيز الدباغ عن الفرق بين القرآن والحديث النبوي وكلام الصحابة حيث قال الشيخ الشريف عبد العزيز الدباغ أن الفارق بينهم هو قوة النور.

وسبق أن قلنا إن النور هو الطاقة والطاقة لا تفنى بإذن الله، وأن جميع الأجسام الصلبة والسائلة والنبات والإنسان والحيوان تتأثر بالطاقة والأنوار المنبعثة منها، إلا إذا حميت بالران الذي يمنع نفاذ الأنوار والموجات الصادرة منها إلى الأجسام. وكيف أنها لا ترى بالعين المجردة مثل الأشعة السينية وأشعة إكس والأشعة فوق الحمراء والأشعة النووية والليزرية والدوائر الكهربائية والموجات الصوتية والمرئية، وكيف يمكن قياس هذه الإشعاعات والذبذبات والدوائر الكهربائية والبصم الحرارية بالأجهزة العلمية الحديثة بما فيه التصوير الحراري الليلي.

ولقد أوضحنا كيفية حفظ الأجسام من تآكل التربة بالتحنيط الذي هو من علم البشر المخلوق بالمواد الكيميائية المضافة لمنع التعفن والتهتك من الديدان الأرضية. وكيف أن السر الإلهي بأنوار القرآن يحفظ الجسم من التآكل بطرد الديدان أيضاً عنها بالإشعاع المنبثق منها والذي يؤثر أيضاً فيمن يقترب منها من البشر ناهيك عن التربة والجماد. وقد صح في الحديث عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرَمْت يعني بليت فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه ابن ماجه.

قال الشاعر:

من تمكن حب أحمد فيه ... تالله إن الأرض لا تبليه

ولكن هل توجد مقاييس لهذه الإشعاعات النورانية المنبثقة منها والغير مرئية.
نقول أنه حتى الآن لا توجد أجهزة لذلك، بل هي تعرف وترى وتحس من قبل من كشف الله بصرهم ببصيرتهم المستمدة من الله عز وجل يهبها لمن يشاء من عباده.

وقال سيدي الحلاج :

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا
وألسنة بأسرار تناجي تدق عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينا

ولقد قمت ببعض التجارب التي تثبت وجود وتأثير هذه الأنوار الإلهية الغير المرئية لمصاحبتها بموجات كهرومغناطيسية، فلقد أحضرنا كأساً مملوءاً بالماء العادي وقسنا التأثير عليه بواسطة من لديهم علم بالبندول لقياس الكهرومغناطيسية فلم نجد تأثيراً عليه، ثم قرأنا الفاتحة ونفخنا على الماء داخل الكأس نفسه ووجدنا أن البندول تحرك مما يدل على تأثره بالأنوار الإلهية في القرآن. وعلم البندول له جمعيات كبيرة في العالم يستخدم في الكشف عن المعادن والبترول والماء وهذا العلم مسلم به ومعروف.

وأحضرنا حجراً من داخل الكعبة وحجراً مجاوراً لقبر ولي وحجراً عادياً وأجرينا نفس تجربة البندول عليها، فوجدنا التأثير قوياً على حجر الكعبة وأقل على الحجر المجاور للولي، ولا تأثير على الحجر العادي. وهذا يدل دلالة واضحة على.. أن الأنوار تنبثق من حجر الكعبة ومن قبر الولي والتي تؤثر على الماء والحجر أفلا تؤثر على البشر؟ إلا من ران على قلبه فلا يتأثر ولا يشعر به مثل من كان مرتدياً بدلة من الرصاص لا يتأثر بالموجات والإشعاعات المشار إليها، ومن هنا قوي دليلي على الاستشفاء بالقرآن

والماء المقروء عليه ومن قراءة القرآن والتمسح بالبيت الحرام والاقتراب من زيارة مرقد النبي ﷺ والتشفي بتربة المدينة المنورة كما ورد عنه ﷺ تربة أرضنا بريق بعضنا شفاء لسقمنا (١) ، والتأثير المنبثق من قبور الأولياء ومصافحة الصالحين وحضور مجالس الذكر كما ورد.

ومن هنا يظهر سر تمرير الماء في مجالس وقراءة القرآن والنفث عليها والتداوي بها. والشرب والأكل من إناء واحد.
ألا إنك قد عرفت فألزم.

تأثير العيون

العين لها قوة تأثير على المتلقي لذلك على الخطيب النظر للمستمعين وعلى المتلقي الاستماع والنظر إلى الخطيب بتركيز ليصل إليه الإرسال.
فيقال في مجتمعنا على اليتيم أنه فاقد لنظره والديه.. لذلك تجده هذيلاً حزيناً مكسور الخاطر فقد نظرة الأب أو الأم أو كلاهما وهي نظره تربويه ومحبه لا يجدها إلا في المربي.

ومن العلوم الكونية أن الثعبان لا يغذي صغاره مثل باقي الحيوانات والحشرات والزواحف... بل تعتمد على غذائها من بصره ورعايته المستمر بأعينه.

فلو نقل الصغار بعد فقسهم بعيداً عن نظر والديهم لماتو...

ويقال عن الثعبان أنه يفترس فريسته بالنظر إليها فإذا نظرت الفريسه لعينيه وصل الإشعاع المباشر وتخدرت وشلت حركتها فينقض عليها.

---

(١) ذكره في وفاء الوفا ج١/٦٩

فيقال إذا رأيت ثعباناً لا تنظر إلى عينيه فإنها تسبب الخوف والرعشة والاضطراب بسبب الإشعاع المنبعث من عينيه وتتلقاه عينيك إذا نظرت إلى عينيه.

ومنها يتبين أن العيون عبارة عن جهاز إرسال واستقبال يتأثر ويؤثر ويقال في الإسلام أن النظر للوالدين عبادة والنظر إلى الكعبة عبادة.

ومن هنا يتضح لنا معنى المربي والأب كيف يمدون أبنائهم ومريديهم بالنظر إليهم والتلقي منهم وإيصال الرسالة واستقبالها منهم ولهم.

وهنا يقال عن لغة العيون أنها رسول بين الطرفين تكتشف شخصية من أمامك ويفهم كل معنى لنظرتك ويستجيب القلب والجوارح بالحب أو الكره والحسد معروف وهو تأثير نظر الحاسد (العين الشريره) التي تصيب المحسود وشفاء المحسود بنظرة من رجال الله.

والأمثلة كثيرة وبحثها يطول.

والتجربة أكبر برهان والعلم يثبت ذلك.

الباب الثاني

الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم.

يشرفني في هذا اليوم العظيم المبارك ٢٧ من رجب المحرم اليوم الذي أسري فيه بالحبيب من مكة المكرمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به من هناك إلى السماوات السبع ثم إلى الحضرة الإلهية حيث فرضت الصلوات الخمس.

ولقد سررت بما كتبته وقرأتموه اليوم باختصار. ولقد كتب الكثير عن هذه السيرة المباركة وأنا أحدهم. واليوم أسهم بالكتابة عن أمور لم أتطرق لها في كتابي لأن هذه القصة لم تروى دفعة واحدة قبل الهجرة النبوية لكن جزأ منها قاله النبي ﷺ للعامة فقط عن الإسراء من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وبيت المقدس. ولم تستوعبه عقول قريش ولم يصدقوه آنذاك لأنه خارق للعادة ولا يتحمله العقل في ذلك العصر حيث لم يدخل الإ يمان في قلوبهم. وبعد الهجرة ذكر المصطفى ﷺ للخاصة تفاصيل الإسراء والمعراج...

عن الإسراء والمعراج

يقول المولى جل علاه.. في محكم تنزيله.. ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (١)

متى كان السؤال وأين ؟.. ومن المخاطب والمخاطب ؟.. أما المخاطب فهو الله جل في علاه وأما المخاطب فهو حبيبنا سيدنا محمد ﷺ حبيب الله ومصطفاه قال الله جل في علاه : ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفيٍّ وقال الذين ءامنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ .
متى كان السؤال وأين ؟.. متى سألهم وهو لم يلتق بهم لأنه أخرهم وأين سألهم وهو لم يجتمع بهم لأنه خاتمهم..

أما متى سألهم فالجواب على ذلك ليلة الإسراء والمعراج..

وأما أين سألهم.. في المسجد الأقصى.. لقد جمعت لك الأنبياء يا حبيبي محمد فاسألهم.. اسأل اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ فتعالوا بنا لنمسك طرف الخيط من أوله ولنضع النقاط على الحروف ونسمي الأشياء بأسمائها..

إن الحبيب المصطفى ﷺ وهو في أوج الدعوة إلى الله.. وفي أشد الأوقات حرجاً.. فقد أعزه الله بدعامتين. دعامة خارجية ودعامة داخلية.
فالدعامة الخارجية عمه أبو طالب والدعامة الداخلية زوجته سيدتنا خديجه رضي الله عنها.

---

(١) سورة الزخرف : ٤٥

مات أبو طالب وهو الذي كان يمثل له الدرع والحصن الحصين من أعداء الدين.. أليس هو القائل.. للحبيب المصطفى ﷺ والله يا ابن أخي

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

مات أبو طالب وأصبحت الساحة خالية أمام صناديد قريش للنيل من الحبيب المصطفى ودعوته.. حتى إنه ﷺ قال.. والله ما نالت مني قريش شيء أكرهه.. إلا بعد وفاة أبي طالب.

ثم بعده بأيام توفيت الزوجة المصونة.. من تحملت أعباء الرسالة مع الحبيب المصطفى كلما لقي الأذى من قومه.. يدخل عليها.. فتحمل عنه الهموم وتواسيه بنفسها ومالها في سبيل إنجاح الدعوة إلى الله.. ماتت سيدتنا خديجة رضي الله عنها وأبو طالب في عام واحد.. حتى سمي ذلك العام بعام الحزن.. واشتد أذى المشركين.. فخرج ﷺ إلى الطائف.. يلتمس النصر من بني ثقيف، لعله يجد فيهم من يناصره ويؤازره.

أيها السادة إن رسول الله ﷺ مر به قبل حادثة الإسراء حزن عظيم. هناك أحداث أليمة حصلت قبل الإسراء منها وفاة عمه أبي طالب صاحب الجاه والحماية ثم وفاة زوجته سيدتنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها سنده الأول في الدعوة وأول من آمن به. ثم ما لاقاه ﷺ من آلام وحزن كبير بسبب عناد وإعراض أهل الطائف ثم رموه بالحجارة حتى دميت قدمه الشريفه.

وفي طريق عودته من الطائف ناجى رسول الله ﷺ ربه مبتهلاً إليه قائلاً : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني. إلى بعيد يتجهمني. أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك غضب علي فلا

أبالي. ولكن عافيتك هي أوسع لي ». « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » (١)

فأراد الله بعد هذه المحنة جبر خاطره ومكافأته وتقريبه إليه وإعطائه ما لم يعطه لنبي مرسل أو ملك مقرب. ولذلك أجريت له العملية الثانية للقلب المفتوح بعد العملية الأولى التي أجريت له وهو في ديار بني سعد عندما كان لدى السيدة حليمه السعدية وهي بمثابة تهيئة للرسالة. (وكانت العمليتان هما شق الصدر الذي تحدثت عنه كتب الحديث والسيرة النبويه) .

قال ابن أبي جمرة رحمة الله تعالى عليه (والحكمة في إسرائه صلى الله عليه وآله وسلم أولاً إلى بيت المقدس لإظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به من مكة المكرمة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها من قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل لمن نور الله بصيرته تبدر الإ يمان والتحقق بصدقة في ما ذكر من الإسراء به في ليلة وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكر.

شق صدره الشريف

فمن الأمور التي أكرم الله بها نبينا سيدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه.. صفاء قلبه الشريف. فالقلب بصفة عامة. محل العقل لمن يقول ذلك.. والقلب محل الهواجس.. ومحل الهموم.. ومحل الخواطر.. ومحل الحنان.. ومحل العلم.. ومحل الحسد.. ومحل الحقد.. ومحل السخط.. ومحل الصبر..

(٢) أخرجته السهيلي في روض الأنف .

ومحل الشفقة.. ومحل الرحمة.. ومحل الكبر.. ومحل الغرور.. ومحل الأنانية.. ومحل الرياء.. ومن هنا جاءت دعوته ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول « اللهم ثبت قلبي على دينك ». قال رجل يارسول الله تخاف علينا وقد آمنا بك وصدقناك بما جئت به.. فقال ﷺ « إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها » (١) واشار الأعمش بأصبعيه.

وقلوب بني آدم كلها متساوية من حيث الشكل والصورة.. حتى قلب سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يشبه سائر القلوب.. لكن قلب سيدنا محمد ﷺ.. مخالف لكل القلوب حتى قلوب الأنبياء.. لأن قلبه ﷺ معتنى به من الله جل في علاه.. هبط الأمين جبريل بأمر من رب العزة والجلال وشق صدر الحبيب المصطفى أكثر من مرة، واستخرج القلب الشريف وغسله في إناء من ذهب بماء زمزم.. وأخرج من القلب علقة دموية.. وقال هذا حظ الشيطان منك.. تكررت هذه العملية أربعة مرات لسيد السادات صلوات الله عليه وسلامه عليه والأسانيد في ذلك صحيحة.

أولها عندما كان صغيراً وهو في حدود الثالثة إلى الرابعة عندما كان عند مرضعته حليمة السعدية التي سعدت بإرضاع خير البرية.. يحدثنا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه في ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم يقول عن رسول الله أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه وصرعه وشق صدره الشريف واستخرج القلب الشريف واستخرج منه علقه، فقال هذا حظ الشيطان منك.. ثم غسله في إناء من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه.. فجاء الغلمان يسعون هلعين خائفين إلى حليمة السعدية..

---

(١) رواه ابن ماجه ج٢ ص ١٢٦٠

يا أمنا يا أمنا إن أخانا القرشي قد قتل.. نحن رأينا ذلك. فجاءت أمه مسرعة ومعها زوجها.. فاستقبلهم الحبيب المصطفى وهو ممتقع اللون.. أي متغير اللون.. قال أنس ولقد كنت أرى أثر المخيط في صدره الشريف.. من ثغرة النحر إلى منبت الشعر.. وفي بعض الروايات الثابتة في الصحيحين من ثغرة نحره إلى مراقي بطنه أي إلى ما رق من بطنه تحت السرة. كل هذا شق من نحره إلى ما رق من بطنه.. تحت السرة.

والشق الثاني حصل للحبيب المصطفى وهو ابن عشر سنين في شعاب مكة المكرمة، عندما كان في كفالة عمه أبي طالب.. حصل له شق صدره مرة ثانية.. ثبت في مسند الإمام أحمد بسند رجال ثقات وثقهم الإمام بن حبان.. والإمام المنذري في مجمع الزوائد.. والأثر في دلائل النبوة حصل الشق الشريف وعمر الحبيب المصطفى عشر سنين. عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها أحد غيره، فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة، فاستوى ﷺ جالساً.. وقال لقد سألت أبا هريرة، إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا برجل يقول.. أهو هو..؟، قال نعم... فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط.. وثياب لم أرها على أحد قط.. فأقبلا إلي يمشيان حتى أمسك كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً... فقال أحدهما لصاحبه أضجعه، فأضجعاني.. بلا قصر ولا هصر.. فقال أحدهما لصاحبه، افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى، بلا دم ولا وجع.. فقال أحدهما للآخر أخرج القلب، فأخرج قلبي.. فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها... فقال له أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة.. ثم هز إبهام رجلي اليمنى..

فقال اغد واسلم (١).. فرجعت بها أعد رقة على الصغير ورحمة على الكبير» .رواه الإمام أحمد.
«بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » (٢) صلوات الله وسلامه عليه..

أما الشق الثالث... في أول خيوط فجر الإسلام.. عندما التقى نور السماء بأرض الصحراء في غار حراء بمكة شرفها الله عندما أكمل ﷺ سن الأربعين وجاءه الملك. فقبل أن يقال له اقرأ شق صدره الشريف.

عن أمنا عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما وعن أبيها وعن سائر الصحابة الكرام.. قالت نذر النبي ﷺ أن يعتكف هو وخديجة شهراً في حراء.. فوافق شهر رمضان.. فخرج الحبيب المصطفى ذات ليلة.. إلى آخر الحديث الذي أخذ.. أكثر وأطول.. من صفحة.. وفيه أن جبريل جاءه.. ثم شق عن قلبه، فاستخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في إناء من ذهب من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه (٣) . ثم بعد ذلك ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي.. فقال اقرأ ولم أك أقرأ كتاباً قط.. فقال اقرأ قلت وما اقرأ.. قال.. اقرأ باسم ربك الذي خلق.. حتى انتهى إلى خمس آيات منها.. فما نسيت شيئاً قط.. ثم وزنني برجل من أمتي فوزنته ثم وزنني بآخر فوزنته، ثم وزنني بمائة فوزنتهم.. فقال ميكائيل تبعته أمته ورب الكعبة.. فانقلبت. لا يلقاني شجر ولا حجر، إلا قال السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة فقالت السلام عليك يا رسول الله..

أما الشق الرابع فحدث ليلة الإسراء والمعراج.
ومن أسرار هذه العملية للقلب المفتوح حيث نزع حظ الشيطان. وحاشا أن

---

(١) ارجع كما كنت .

(٢) سورة التوبة : ١٢٨

(٣) أي رده .

يكون للشيطان سبيل على رسول الله ﷺ ولكنه رحمة للعالمين والشيطان من مخلوقات الله وقد قضت حكمته سبحانه وتعالى طرده من الجنة ومن رحمة الله ولكي لا يتعارض مع حكمة الله فقد أجريت له هذه العملية لنزع رحمة رسول الله على الشيطان فلن تناله رحمة رسول الله ﷺ مدى العمر وإلى أبد الآبدين ليخلد في النار. ولعل فيها إشارة إلى الحديث الشريف الصحيح الذي رواه مسلم : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»

والعملية الرابعة مجال بحثنا اليوم في الإسراء والمعراج فلقد أجرت الملائكة عملية القلب المفتوح وغسله في إناء من ذهب بماء زمزم وملئه بالرأفة والرحمة وإخراج الغل والحسد وشحنه بالأسرار الإلهية التي تخرجه من المألوف وتهيئته لتحمل الرحلة بمراحلها التسعة. (انظر رسالتنا في السيرة النبوية) .

المرحلة الأولى تحمله سرعة التنقل التي تفوق سرعة الصوت والضوء وتحمله الضغط الجوي للإسراء من مكة المكرمة إلى بيت المقدس وفي هذه الرحلة مر سيدنا محمد b بأماكن مقدسة. الأولى المدينة المنورة والثانية طور سيناء والثالثة بيت لحم والرابعة القدس. وأمر من رب العزة على لسان جبريل بالنزول للصلاة فيها ركعتين للتبرك ولتكون سنة لنا للتبرك بها، حيث أن الموقع الأول المدينة المنورة مكان هجرته ﷺ والثاني طور سيناء حيث كلم الله سيدنا موسى عليه السلام والثالث بيت لحم مولد سيدنا عيسى عليه السلام والرابع بيت المقدس حيث جمع الله له الأنبياء عليهم السلام ليصلي بهم ﷺ فيكون إمام المرسلين. فلقد شرفت هذه المواقع وزادت بركه بنزوله فيها والصلاة فيها. والمراحل السبعة الأخرى من بيت المقدس إلى السماوات السبع التي لا يخترقها بشر لولا أن هيأه الإله لهذه الرحلة بالعملية المشار إليها.

لقد كانت عادة العرب إذا دعت ضيفها أرسلت له المركوب لإحضاره فكانت المرحلة الأولى أن أرسل الله جبريل إلى حبيبه بالبراق ليركبه.

ثم المرحلة الثانية هيأ الله له المرقاة ليرقى بها إلى السماوات السبعة التي تفوق حالة البشر بمجاوزة إلى مرتبة الملائكة. فقد جاء في الحديث في ما معناه (ثم نصب لي المعراج وهو الذي تعرج عليه أرواح المؤمنين).

ثم المرحلة الثالثة عند سدرة المنتهى التي لم يستطع ملك مقرب مثل جبريل أن يطيقها أو يتجاوزها ولو تجاوزها لاحترق ولكن نبينا سيدنا محمد ﷺ تجاوزها بفضل من الله واخترق الحجب ثم المرحلة الأخيرة التي قابل فيها الحق سبحانه وتعالى عياناً ورآه وخاطبه وكان يراه ببصره وبصيرته حتى أصبح يرى الأشياء بكل ذرة من جسمه كما يرى بعينيه، فهذا قليل من كثير لم أتعرض له في كتابي عن السيرة النبوية.

حديث رؤية الرب جل جلاله

)ويسمى حديث الضربة)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى × أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾(١)

ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وقال حديث حسن.. والحديث رواه الحاكم وصححه.. وأقره عليه الإمام الذهبي.. عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: « احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة حتى كدنا نتراءى قرن الشمس.. فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته.. فلما سلم قال كما أنتم على مصافكم.. ثم أقبل وقال

(١) سورة النجم: ١١ – ١٢

أنني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إنني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي (وإذا نام الإنسان وهو ساجد باهى الله به الملائكة.. يقول لهم المولى انظروا لعبدي روحه عندي وهو ساجد لي) حتى استيقظت فإذا أنا بربي في أحسن صورة.. ((ومن المقرر في علم التوحيد أنه يجوز رؤية الله تعالى في المنام، قلت: وهو من تنزلات الحق سبحانه وتعالى للمؤمنين، جاء في مقدمة حاشية ابن عابدين أن أبا حنيفة رأى ربه في المنام تسعة وتسعين مرة فقال لئن رأيته تمام المئة لأسألنه عما ينجي العبد من أهوال يوم القيامة.. ورأى الإمام أحمد بن حنبل ربه قبل ذلك وقال لئن رأيته تمام المائة لأسألنه عما يقرب العبد من مولاه...)) فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى (أي في أي شيء يتحدثون وحول أي شيء يبحثون، والملائكة تتحدث في أعمالنا حيث أنها موكلة بنا.. قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ (١). قلت لا أدري يا رب.. قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى.. قلت لا أدري يا رب، فرأيته وضع كفه على كتفي حتى أحسست ببرد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفت.. (ظهر المراد من اختصام الملأ الأعلى ببركة وضع الله كفه بين كتفي النبي ﷺ وهذا مما نقره ونمره ولا نقف عنده.. وصفات الله تقوم على هذين الأمرين إقرار وإمرار.. وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.. والعجز عن درك الإدراك إدراك، والبحث في كنه ذات الله إشراك، والقول الحق ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فقال يا محمد يختصم الملأ الأعلى، قلت في الكفارات، قال وما الكفارات، قلت نقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات وجلوس في المساجد بعد الصلاة وإسباغ الوضوء عند الكريهات (أي على المكاره في أيام البرد يحسن الوضوء)، قال وما

---

(١) سورة النازعات .

الدرجات.. قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام.. قال سل (أي اسألني حبيبي يا محمد.. اسألني ما شئت.. فقال الحبيب المصطفى وهو ساجد) قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني... وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون.. وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك.. وقال ﷺ إنها حق فادرسوها وتعلموها) (١)

ألا إنك قد عرفت فالزم

(١) رواه الإمام أحمد

الباب الثالث

الأولياء

الأوليـاء

قال العلامة الشيخ إبراهيم اللقاني في كتابه (جوهرة التوحيد وشرحها تحفة المريد) للعالم العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري.

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه قال البيجوري قوله (واثبتن للأولياء الكرامة) أي اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى جوازها، ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهور أهل السنة وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قول ينفيها، بل ظهورها حينئذ أولى لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار. ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق. وقال الشعراني (ذكر لي بعض المشايخ أن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي حوائج الناس، وسمي ولياً لأن الله تولى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة)، (ومن نفاها فانبذن كلامه) أي من نفى الكرامة وقال بعدم جوازها كأبي عبد الله الحليمي من أهل السنة، وجمهور المعتزلة اطرحن كلامه ولا تعول عليه.

وسأل بعضهم لأي شيء كثرت الكرامات في الزمان المتأخر عن الزمان المتقدم، فأجاب بأن ذلك لضعف اعتقاد المتأخرين. فاحتيج لتأليفهم بالكرامات ليعتقدوا في الصالحين وأما المتقدمون فاعتقادهم تابع لميزان الشرع. تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص١٥٣/١٥٤.

وقال العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردي الشافعي، في كتابه (تنوير القلوب) ص٤١٠، فضل الأولياء وثبوت كراماتهم في الكتاب والسنة.

قال تعالى :﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم، قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أنساب يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا الآية المذكورة » رواه أبو داود. وظهور الكرامة على الأولياء جائز عقلاً وواقع نقلاً، أما جوازه عقلاً فلأنه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى بل هو من قبيل الممكنات كظهور معجزات الأنبياء ولا يلزم في جوازها ووقوعها محال، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع وهي ثابتة لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهور أهل السنة. فلا يحتاج الولي إلى آية أو بينة على صدقه بخلاف الرسول فإنه يحتاج إلى آية لأنه ينشىء التشريع. وقد قرر علماء التوحيد : ما صح أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، وإن المعجزة تنزل منزلة قوله تعالى في الحديث القدسي:« صدق عبدي في كل ما يبلغ عني »، وأما الكرامة فتنزل منزلة قوله تعالى:« صدق عبدي في نسبته لنبي صادق»

ثم اعلم أن سائر أهل القبور أحياء حياة برزخية فالكافرون والعصاة أرواحهم مسجورة محبوسة على حسب كفرهم أو معاصيهم فالمؤمنون أرواحهم طليقة على حسب علو مراتبهم في الإ يمان والطاعة فيعلمون ويعقلون. يعلمون بها ويعقلون ويسمعون ويرون ويعرفون من زارهم ومن سلم عليهم ويردون عليه السلام ويتزاورون بينهم ويتأذون بما يبلغهم عن الأحياء، وفيهم الذين يتصرفون بإذن من الله تعالى وتصدر منهم أمور عظيمة بقدرة الله تعالى، ويتنعمون ويتعذبون وإن أعمال الأحياء تعرض عليهم فما

---

(١) سورة يونس : ٦٢

رأوه خيراً حمدوا الله تعالى واستبشروا ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات وإن رأوا شراً دعوا الله لهم وقالوا اللهم ارجع بهم إلى الطاعة واهدهم كما هديتنا ، وإنهم يعلمون بأحوالهم غير الأعمال فإن الموت للصالحين نقلة من دار إلى دار وقد ثبت ما ذكرناه بنص السنة وإجماع الأمة .

فعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » رواه الخطيب وابن عساكر . وقال ﷺ : « إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام » أخرجه البيهقي وابن أبي الدنيا ، وأما تزاور الموتى وتلاقيهم فقد قال ﷺ : « حسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم » (١)

وأما تأذي الميت بما يبلغه عن الأحياء فعن عائشة رضي الله عنها قالت ، قال ﷺ : « يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته »(٢) . ويشهد له ما أخرجه أبو داوود وابن ماجه وغيرهما إن كسر عظم الميت ككسر عظمه حياً وعن الطبراني والحاكم عن عمارة بن جزم قال ، قال رآني رسول الله ﷺ جالساً على قبر فقال : « يا صاحب القبر انزل عن القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذك » ، وأما تصرف الموتى وصدور أمور منهم بقدرة الله تعالى ، فقد روي أن الرسول ﷺ بعد قتل جعفر قال : « عرفت جعفر في رفقة من الملائكة يبشرون أهل بيشه بالمطر » (٣) . وأما علمهم بأحوال الدنيا غير الأعمال ورؤيتهم لهم فهو من قبيل ما ورد . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه البيهقي .

(٢) رواه الديلمي

(٣) أورده في الجامع الصغير للسيوطي ص ٦٠ (ج الثاني) .

« إن الميت يعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره » (١).

قال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى، قد رأيت في فتوى رفعت سابقاً إلى الشيخ العلامة محمد الشوبري المصري الشافعي رحمه الله تعالى ما ملخصه: هل كرامات الأولياء ثابتة بعد موتهم وهل تصرفهم بعد الموت ينقطع أم لا، وهل يجوز تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم أم لا؟

فأجاب الشيخ الشمس الشوبري :

كرامات الأولياء ثابتة وتصرفهم لا ينقطع بالموت ويجوز التوسل بهم إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء الصالحين بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بعد موتهم. أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء كرامة لهم وقال شيخنا الرملي رحمه الله تعالى وهذه الأشياء يعني الكرامات مشاهدة لا يمكن إنكارها فالذي نعتقده ثبوت كرامتهم في حياتهم وبعد مماتهم ولا تنقطع بموتهم.. إلى أن قال وأما تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم فلا خلاف في جوازه بل ولا كراهة في تقبيل أعتابهم على قصد التبرك كما أفتى به شيخنا الرملي رحمه الله تعالى ثم قال الشيخ محمد الشوبري في أواخر فتواه المذكورة وهذا الأمر ظاهر غني عن طلب الدليل، إذ الطلب لذلك إنما يصدر من جاهل معاند جاحد لا يلتفت إليه ولا يعول عليه في هذه المباحث الشرعية. انتهت فتوى الشمس الشوبري نقلها سيدي عبد الغني النابلسي بحروفها.

فالأولياء والصالحون وحفظة القرآن العاملون به وكذا من تمكنت فيهم محبة رسول الله ﷺ أحياء في قبورهم حياة برزخية حرم على الأرض أكل

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده .

أجسامهم بسر الأنوار المكتسبة من حفظ القرآن والعمل به وبسنة رسوله ﷺ منبع الأسرار والأنوار الإلهية وتمكن محبة الرسول ﷺ بالمتابعة من إكثار الصلاة عليه أو التسليم التي تفرج الكرب وتغفر الذنب، كما أخبر بذلك ﷺ كل ذلك يكون سبباً لإشعاع الأنوار من أجسادهم هؤلاء ومنع دودة الأرض وهوامها من الاقتراب إليهم ويقرب فهم ذلك ماهو من فعل المخلوق والمسمى : بالتحنيط حيث يضاف للجسم مادة قاتلة لدودة الأرض، وتبقى الجثة دون تآكل كما هو في علم الفراعنة قبل آلاف السنين، وهذه الأنوار تشع في التربة وتكسبها أنواراً إلهية غير مرئية، فهي كما رأينا تؤثر على التربة والحجر تؤثر على كل من يقترب منها مثلها مثل الإشعاع النووي وأثر لمن يقترب منه أو يمسه أو يأكل منه، أو ليس قد ورد عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول للإنسان إذا اشتكى يقول بريقه، ثم قال به في التراب، تربة أرضنا بريق بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا » (١)

وهذه المنحة الإلهية تعلمنا، وقد فهمنا من سياق هذه النظرية ما منح الله مكة المكرمة من ماء زمزم شفاء لشاربه، وما منح الله طيبة الطيبة من خصائص في هوائها ومائها وثمارها وترابها وما جعل الله في ريق الصالحين الذاكرين من شفاء للسقم تبركاً بآثارهم وريقهم، فقد كان ﷺ يحنك الأطفال المواليد للصحابة وكان الصحابة يتبركون بماء وضوءه ﷺ وقصاصات شعره وقلامات أظفاره، كما وصف أبو سهيل بن عمرو ممثل قريش سيدنا محمداً ﷺ وأصحابه عندما رآهم أثناء صلح الحديبية وقد ذكر الإمام الشعراني إن ذلك أصل في التبرك في آثار الصالحين. الحديث « ماء زمزم لما شرب له » رواه ابن ماجه، فنور رسول الله ﷺ الذي شبعت به أرض طيبة الطيبة باق فيه مؤثر شفاء لكل مرض مستعص علاجه إذا صادف ريق المؤمن الصادق الذاكر الذي تشبع ريقه بالأنوار الإلهية لتتفاعل مع التربة،

---

(١) رواه أبو داود

فالماء على سبيل المثال مكون من H۲OO أي من ذرة الأكسجين وذرتين من الهيدروجين ولا يمكن تكوينه إلا بهذه النسبة ليعطي الماء. ألا فقد عرفت فالزم.

نقل نور الدين السمهودي في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ عن سعد رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك تلقاه رجال من المخلفين من المؤمنين فأثاروا غباراً فغطى بعض الناس أنوفهم، فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه وقال: « والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاء من كل داء وأراه ذكر الجذام والبرص » (١)

وعن أبي سلمة بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « غبار المدينة يطفىء الجذام » (٢). وقد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام وكان قد أضر به كثيراً فصار يخرج إلى الكومة البيضاء ببطحان بطريق قباء ويتمرغ بها ويتخذ منها في مرقده. وروى ابن زبالة وابن النجار أن النبي ﷺ « أتى بني الحارث فإذا هم روبي فقال ما لكم يا بني الحارث فقالوا أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى فقال فأين أنتم عن صعيب فقالوا يا رسول الله ما نصنع به، فقال تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول « بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا» (٣) » ، ففعلوا فتركتهم الحمى. قال أبو القاسم طاهر يحيى العلوي وادي بطحان دون الماجشونية. وتربة سيدنا حمزة رضي الله عنه لأطباق السلف والخلف على نقلها للتداوي من الصداع.

عن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « غبار المدينة شفاء من الجذام » أخرجه أبو نعيم في الطب. عن أبي بكر بن محمد

---

(١) رواه السمهوري في وفاء الوفاء ص٦٧ الجزء الأول.

(٢) رواه السمهوري في وفاء الوفاء ص ٦٨ الجزء الأول.

(٣) رواه السمهوري في وفاء الوفاء ص ٦٨ الجزء الأول.

بن سالم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « غبار المدينة يبري الجذام » أخرجه أبو نعيم وابن السني في الطب.

نقل جماعة من مشايخ المدينة المنورة وعلمائها أن السلطان الملك السعيد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي كان في سنة ٥٥٧هـ رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في المنام في ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة يا محمود أنقذني من هذين الشخصين الأشقرين اتجاهي فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك، فقال هذا أمر حدث في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام فتجهز وخرج على عجل ومعه ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك، حتى دخل المدينة المنورة في ستة وعشرين يوماً فزار ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم وتأمل تلك الصفة إلى أن انقضى جمع الناس فقال هل بقي أحد، قالوا لم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التي تعرف بدار العشرة، فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا نحن على كفاية فجد في طلبهما فجيء بهما فقال للوزير هما هذان فاسألهما عن حالهما وما جاء بهما، فقالا لمجاورة النبي ﷺ فقال اصدقاني وكرر عليهما حتى أفضى إلى العقوبة، فأقرا أنهما من النصارى وأنهما وصلا لكي ينقلا من هذه الحجرة الشريفة الجسد المقدس باتفاق مع ملوكهما، ووجدوهما قد حفرا نفقاً تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بير عندهم في البيت، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي يلي حجرة النبي ﷺ خارج المسجد ثم أحرقوا بالنار آخر النهار (١) .

وذكر السيد السمهودي في وفاء الوفاء أن الملك العادل نور الدين الشهيد بعد قتل النصارى أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقاً عظيماً حول الحجرة

---

(١) عمدة الأخبار ص ٨٠

الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص وملأ به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة سور من الرصاص من جميع الجوانب (١)

وقد أسند الصدر إبراهيم بن محمد أبي مؤيد في كتابه (فضل أهل البيت) عن جابر رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ يوماً في بعض حيطان المدينة ويده على يدي قال فمررنا بنخل فصاح النخل هذا محمد رسول الله وهذا علي سيف الله فالتفت النبي ﷺ إلى علي وقال : « سمه الصيحاني فسمي من ذلك اليوم الصيحاني » (٢)

ألا إنك قد عرفت فالزم

---

(٥) وفاء الوفاء ج٢ ص ٦٥٠ / ٦٥١

(٦) وفاء الوفاء ص ٧٣ ج١

الباب الرابع

التوسل

بسم الله الرحمن الرحيم

التوسل

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، سبحانه من إله عظيم قرن التقوى بالتوسل في قوله جل شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (١) . ونصلي ونسلم على سيدنا وحبيبنا محمد الحبيب المحبوب صاحب الحوض المورود والشفاعة يوم الورود، اللهم صل على سيدنا محمد الذي علم أصحابه أنه لا ضار ولا نافع إلا الله كما علمهم بأن الله يجتبي من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء سبحانه جل وعلا...

وبعد فقد اطلعت على بعض الكتيبات الصغيرة حجماً ومادة ورأيت فيها مخالفة صريحة لما تعلمناه من مذهب أهل السنة والجماعة في جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن العلماء العاملين الذين يقتدي بهم جعلوا التوسل من أبواب الفقه ثم اختلفوا بين مجوز ذلك أو مكرهه، وجعله بعضهم سنة ولم يجعلوه شركاً أكبر ولا أصغر بل لم يجعلوه من أبواب التوحيد!!! ولذلك كتبت هذه الكلمات أسأل الله أن ينفع بها القائل والسامع وأن ينفع بها أهل المشارق والمغارب من المسلمين وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم الدين (آمين اللهم آمين)

---

(١) سورة المائدة : ٣٥

إن الذي نعتقده اعتقاداً جازماً لاشك فيه أنه لا ضار ولا نافع ولا مانع ولا معطي ولا رازق... الخ، إلا الله الواحد الأحد سبحانه فلا يضر ولا ينفع أي مخلوق سواء كان حياً أو ميتاً إلا إذا أراد الله لذلك الشخص النفع والمضرة فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المفهوم، بما ورد عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات، فقال: « يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، واعلم بأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١)

ومن هذا الحديث يتبين لك أنه لا ينفع لا إنس ولا جن ولا غيرهم أحياء كانوا أو أموات لا ينفعون ولا يضرون إلا بإذن الله. فإذا قضت إرادة الله في الأزل أن ينتفع شخص من شخص آخر انتفع به، وإذا قضت إرادة الله أن يتضرر شخص من آخر حصل له الضرر. فالله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)، فأعمالنا مخلوقة لله تعالى ولنا الكسب في ذلك، كما أن الله تعالى يقول أيضاً ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٣) . فما يكون إلا على حسب ما قضت به المشيئة الإلهية فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد قال ﷺ: « وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطئك لم يكن ليصيبك... الحديث » (٤) ، فالحديث واضح وكلاً منا واضح ولكن العجب

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) سورة الصافات : ٩٦

(٣) سورة البقرة : ١١٧

(٤) رواه أبو داود

كل العجب أن بعض إخواننا من أهل العلم المتأخر؟! يقولون في كتيباتهم أنه يجوز التوسل بالإنسان وهو حي ويشركون من أجاز التوسل بالأموات وهو محور الخلاف بين الفريقين؟!

وبذلك صح لنا أن نقول لهذا الفريق الذي يجيز التوسل بالأحياء نقول لهم « من فمك ندينك » : أنتم إذاً مشركون على قولكم إذا اعتقدتم أن الأحياء ينفعون أو يضرون من غير الله ، فإن قلتم أننا لا نعتقد أن النفع أو الضر يكون منهم مباشرة وأنما نعتقد أن النافع والضار هو الله فقط ، أو فصلتم في النفع والانتفاع والضر والمضرة . وعلى كل حال نحن نقول لكم إننا نعتقد ونجزم بأن النافع والضار هو الله وحده ولكن قد يجري الله الانتفاع بالأموات ، فإن قلتم وضح القول، قلنا لكم احذروا من أقوال الكفار والشيوعيين الذين يقولون : « ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع » أي أنهم ينكرون وجود الله وينكرون حياة القبر وعذابه وينكرون الجنة والنار . وقد أخبرنا الله عن حالهم وأقوالهم فقال تعالى مخبراً عنهم : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾(١) . وقال تعالى أيضاً عنهم : ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنْ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾(٢). هذا أظهر لو قلنا : الأرض تبلع وينتهي الإنسان بينما الحقيقة الجسد يفنى لكن الروح باقيه وهذا ما ينكره الكفرة والشيوعيين. فقولكم خلاف بين الحي والميت فالميت انتهى. يدخلكم في ادعائهم الروح باقية. ومن الشهداء ما أثبت الله لهم الحياة والرزق ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٣) وأنتم حاشاكم أن تكونوا قد تأثرتم بأقوالهم هذه حيث أنتم من أهل الإ يمان وأهل الإ يمان يؤمنون بما جاء به سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ،

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤

(٢) سورة الممتحنة : ١٣

(٣) سورة آل عمران : ١٦٩

وقد أخبرنا بأن الميت إذا مات ودفن جاءه ملكان موكلان بسؤاله وأخبرنا أيضاً بأن الميت إن ختم له بخير يكون في قبره في روضة من رياض الجنة. كما أخبرنا بأن قبر الكافر يكون حفرة من حفر النيران وكما أن النبي ﷺ أخبرنا بأن الميت إذا مات انتقل من حياة الدنيا إلى حياة البرزخ فإذا قامت القيامة انتقل من حياة البرزخ (سواء كان قبره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران) ينتقل من حياة البرزخ إلى الحياة الآخرة وإما جنة بعد ذلك أو نار نسأل الله لنا ولكم وللمسلمين السلامة.

ولذلك يحق لنا أن نسألكم كيف تجيزون التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته كما أنكم تجيزون التوسل والشفاعة في الحياة الآخرة وكيف تجرأتم بالقول بأن التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياة البرزخ شرك... كيف ذلك؟!!!

فإن قلتم إنه ميت : قلنا لكم لقد نهاكم الله على أن تقولوا إن الشهداء أموات فكيف بالأنبياء أو الرسل عليهم السلام، قال الله تعالى : ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾(١). وقال الله تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٢)

فالشهداء أحياء حياة برزخية وهم يرزقون بأشياء لا تخطر على بال. فكيف بالأنبياء والرسل فما بالك بسيد ولد آدم ولا فخر، وصاحب الحوض والشفاعة وأول من لِبَاب الجنة قبل الخلائق يقرع. بل النبي ﷺ أخبرنا في الحديث : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » (١١). وأخبرنا أيضاً بأن من سلم عليه بأنه يرد عليه السلام وأحاديث كثيرة في هذا الباب...

ولذلك نريد منكم أن تصلحوا من اعتقاداتكم في الأموات، فهم نعم أموات

---

(٩) سورة البقرة : ١٥٤

(١٠) سورة آل عمران : ١٦٩

(١١) رواه ابن ماجه .

انتقلوا من الحياة الدنيا ولكنهم في حياة البرزخ وهم يسمعون من سلم عليهم كما في حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديث القليب والذي فيه أن النبي ﷺ بعد أن وضع الكفار في البئر كان يناديهم بأسمائهم ويقول هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فقال سيدنا عمر يا رسول الله إنهم قد أرموا أي هلكوا فقال له النبي ﷺ : « هم أسمع منك يا عمر ولكن لا يستطيعون أن يردوا » (١) ، أو كما قال ﷺ ، بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٢) . بمعناه قلنا لكم : صدق رسول الله ، فالإنسان إذا مات انقطع عمله وطويت صحيفته بما قدمه من العمل قال الشاعر :

وليس للإنسان من بعد الأجل إلا الذي قدمه من العمل

ولكن هناك ثلاثة أمور تعد في حد ذاتها من أعماله فهو بواسطتها تزداد حسناته فكلما دعا لهم ابن ذهب الدعاء إلى صحيفة الأب والجد... الخ ، وكذلك الصدقة الجارية والعلم النافع كما أن هناك أمور قد تزيد من سيئاته ، قال تعالى : ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً . . .﴾ (٣)

والنبي ﷺ يقول : « من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم » رواه مسلم، وأمرنا النبي ﷺ بالدعاء للميت فقال: « استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل » (٤) ، وأخبرنا أيضاً بأن المفلس من يأتي يوم القيامة ومعه من

(١) رواه الإمام أحمد في الجزء الثالث ص ١٠٤ والبخاري رقم (الحديث ٣٩٧٦)
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة النساء : ٨٥
(٤) رواه أبو داود

الحسنات أمثال الجبال غير أنه شتم هذا وأكل مال هذا وقذف هذا فيؤخذ من حسناته... الحديث.

ولذلك فالحديث الذي توردونه « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » افهموا المعنى. ثم إن النبي ﷺ قال: « انقطع عمله » ولم يقل انقطع سمعه أو انقطع نفعه أو انقطع العمل الآخر له، لم يقل ذلك. فافهموا ذلك فإن قلتم أن الأموات لا يسمعون. بصريح القرآن ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾(١) . قلنا لكم راجعوا ما قاله أهل التفسير وما قاله ابن تيمية راجعوا وأنا أذكر لكم ما قاله الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره: « أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم ومصيرهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة ولا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم » (٢)

أما من حيث نفع الميت للحي فقد ذكر لنا القرآن ما جاء بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا الخضر وفيها إن سيدنا الخضر أمر سيدنا موسى بإقامة البناء لماذا لأن ذلك الجدار تحته كنز لأيتام كان أبوهم صالحاً، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾(٣) . كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « حياتي خير لكم وموتي خير لكم فتعجب الصحابة وقالوا كيف يا رسول الله موتك خير لنا؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « تعرض علي أعمالكم فما كان خيراً حمدت الله وما كان غير ذلك استغفرت لكم » رواه الديلمي عن أنس وعزاه في الجامع

---

(١) سورة فاطر: ٢٢

(٢)(من المجلد٦ /صفحة٢٥٩ من طبعة دار الشعب بتحقيق د. محمد إبراهيم وآخرون).

(٣) سورة الكهف: ٨٢

الصغير للحارث عن أنس. أو كما قال ﷺ والحديث حسن والشواهد كثير.

لقد خفف الله سبحانه وتعالى عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة من خمسين صلاة إلى خمس صلوات بفضل ونفع سيدنا موسى وهو رسول نبي ميت أليس هذا النفع باقي إلى قيام الساعة فهل هناك أعظم نفعاً من فعل سيدنا موسى لنا؟!!.

أما من ناحية انتفاع الميت بالحي فالأدلة كثيرة منها انتفاع الميت بصلاة الجنازة وبدعاء الأحياء له بل ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه مر على قبرين يعذبان فأمر لها بجريدة النخل وضعها وقال إنه ليخفف عنهما ما دامتا رطبتين أو كما ورد عنه ﷺ وهناك أدلة أكثر وأكثر.

وإن قلت ما هي أدلتكم على جواز التوسل واستحبابه؟!

قلنا لك أدلة كثيرة ذكرها أهل العلم رضي الله عنهم وإنا سنكتفي ببعضها على دليل الجواز والاستحباب مع الإيجاز والبعد عن الإطناب وها هي :

أ ـ من القرآن الكريم.

١ـ قوله تعالى : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١) . فيه جواز التوسل ولم يفرق القرآن بين الأحياء والأموات حيث اعتقدنا أن الضار والنافع هو الله وحده.

٢ – قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾(٢)

وإذا علمنا أن النبي ﷺ حي في قبره وأنه يسمع وأنه يستغفر الله لك فلماذا

---

(١) سورة المائدة : ٣٥

(٢) سورة النساء : ٦٤

لا يجوز التوسل به وقد أجاز التوسل عند هذه الآية الإمام النووي في كتابه الأذكار في كتابه الحج باب زيارة قبر النبي ﷺ كما أجاز ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية حيث قال : « وهناك قصة مشهورة عن الإمام العتبي » وهذا الإمام هو شيخ الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى آمين ولذلك فهو من السلف » ، أنه كان جالساً عند قبر النبي ﷺ فدخل أعرابي وقال يا رسول الله : إنني جئت من بلد بعيد وعلي ذنوب كثيرة والله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾(١) . ثم إن الأعرابي أنشد أبياتاً وهي مكتوبة إلى يومنا هذا على أعمدة الحجرة الشريفة والأبيات هي :

يا خير من دفنت في الترب أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبداً ... مني السلام عليكم ما جرى القلم

ثم انصرف الأعرابي وأخذت الإمام العتبي سنة من النوم ، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال له : « يا عتبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له » .

٣– استفتاح اليهود بالنبي ﷺ في معاركهم قبل بعثته . راجع تفسير قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

٤– راجع تفسير : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٣) . وغيرها من الآيات كثير .

---

(١) سورة النساء : ٦٤

(٢) سورة البقرة : ٨٩

(٣) سورة البقرة : ٣٧

ب ـ أما الدليل من السنة النبوية المطهرة فإليك :

٥ـ أحاديث البخاري : روى الإمام البخاري من الفتح (٤٩٤/٢/ برقم ١٠٠٨ـ١٠١٠(

الأول عن عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الثاني وقال عمر بن حمزة حدثنا سالم عن أبيه « ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ : يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

الثالث عن أنس أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : « فيسقون ».

ومن هذه الأحاديث نستنتج ما يلي :

١– من الحديثين الأول والثاني يتضح أن الكفار كانوا إذا قحطوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستسقون به فينزل عليهم المطر حتى يجيش كل ميزاب، وبعد بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ورد عنه في بعض الآثار ذكرها الحافظ في الفتح أنه قال من يذكرني بأبيات أبي طالب أو كما ورد عنه ﷺ.

٢– يتضح من الحديث الثالث قول سيدنا عمر : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا » فمن هذا يتضح لنا جواز التوسل بالنبي مطلقاً فمن قال غير ذلك فعليه الدليل من الكتاب أو السنة أما قيام سيدنا عمر بالتوسل بعم رسول الله ﷺ في رأي أنه يحتمل أمرين:

أحدهما :أن سيدنا عمر رضي الله عنه قد يكون أراد فتح باب التوسل بال بيت رسول الله ﷺ.

أما الثاني : فقد يكون من شدة حذر وخوف سيدنا عمر رضي الله عنه من عدم إجابة الدعاء بنزول الغيث ، فيكون ذو أثر سلبي على حديثي الإسلام في ذلك العهد . فأقدم رضي الله عنه بالتوسل بعمه ﷺ .

أضف على ذلك هل يجوز لعمر أن يخالف سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته . ثم أخبروني ما تعريف السنة فهل السنة بعد موت النبي تصبح شركاً وبدعة ؟ بأي مفهوم تتكلمون إذ تخاطبون الناس . ثم ارجعوا إلى فتح الباري وستجدون أن سيدنا عمر رضي الله عنه لماذا فعل ذلك الاستسقاء إلا كما شرحه الحافظ في الفتح (٢/٤٩٥) من رواية ابن أبي شيبة وقال الحافظ بإسناد صحيح من رواية ابن صالح السمان عن مالك الدار ، وكان خازن عمر (أي أنه ثقة لأن سيدنا عمر جعله خازن بيت مال المسلمين) قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله استسقي لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتى الرجل في المنام فقيل له : ائت عمر واجعله يستسقي بالناس » الحديث.

ولذلك وضح لنا الحافظ رحمه الله أن سيدنا عمر رضي الله عنه ما جعل سيدنا العباس رضي الله عنه يقوم إلا لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن توسل الناس بالعباس رضي الله عنه ما هو إلا توسل بالرسول ﷺ في حد ذاته ، ولذلك أجاز الإمام ابن حجر التوسل من هذا الباب فراجعه .

٣- وفي هذا الدليل يعلمنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم التوسل به ويجعله سنة لمن أراد الاهتداء به ، عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ادع الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن في وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في » رواه الترمذي . وهذا دليل قاطع لجواز التوسل به حياً وميتاً لأنه علم الضرير دعاء يدعو به .

وهذا الدعاء كل من قاله يكون مطبق السنة المحمدية لأنه لا دليل على التخصيص وإني أتعجب أن يجعله بعض من يدعي العلم دليلاً على جواز التوسل بدعاء الحي فقط. ونقول له : إن الضرير جاء لكي يدعو له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لم يفعل ولكن علمه صيغة دعاء وهذا التلقين فيه أن النبي ﷺ علمه التوسل به إلى الله فافهمه هدانا الله وإياك أن تقلل من شأن النبي فما لك بالنبي قدوة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن شعيب:

إن قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما يدل عندنا على جواز التوسل بالأولياء والصلحاء كما يجوز التوسل بالأنبياء.

فهو رضي الله عنه، قال : اللهم إنا كنا نتوسل الخ...

ولا نرى في هذا القول أي دلالة على عدم جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، لأن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلم علم اليقين أن موت النبي ﷺ، لا يعني فناءه، كيف وهو خير من يقرأ ويفهم قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ (١) الأية. .

إذن فالقول بأن سيدنا عمر إنما عدل عن التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته قول فيه تعسف واتهام لسيدنا عمر بن الخطاب بما لا يليق بمقامه السامي في العلم والمعرفة والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة : ١٥٤

خواطر رفع اليدين في الدعاء

إن الجدل في مشروعية رفع اليدين في الدعاء أخذ بحثاً مطولاً بين مؤيد ومعارض وكلاهما استدل بطرق وأقوال عدة وأحاديث بروايات ثقات.

ولقد صال هذا الأمر في خاطري وجال ونظرت إلى رفع اليدين وضم الكفين فوجدت أن الإنسان البدائي كان عندما يعطش ويريد شرب الماء يضم كفيه ويشرب من الماء ويغرف من الماء ويشرب وكذلك عند الاستحمام وكذلك عند الكيل النسبة للحبوب والثمار من الأخذ والعطاء في المال وغير ذلك من طلب المساعدة والاستغاثة. فإذا لم نرفع أيدينا إلى الله ونطلب المساعدة والغوث والعطاء فمن نطلب ولمن نرفع أيدينا؟ ولقد تخيلت باطن الكفين مثل الصحن الفضائي الموجه إلى سماء الأقمار الصناعية لاستقبال الإرسال فبدون (الدش) لا يمكن الاستقبال من الأقمار ولا بد من التوجيه ولا بد من وجود (ريسيفر) جيد للاستقبال ألا وهو القلب فهو مرسل ومستقبل.

فإذا كان القلب طاهراً وصادقاً ومجداً في الدعاء رافعاً يده إلى السماء سائلاً المولى العطاء، فلا بد يقيناً أن تجاب دعوته. ولا بد من رفع اليد بل يجب لتعجيل الإرسال والاستقبال إلا بالنسبة لمن على قلوبهم ران فلا إرسال ولا استقبال ولا شعور بالموجات النورانية).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المسئلة أن ترفع يدك حذو منكبيك، أو نحوهما والاستغفار أن تشير بأصبع واحد. والابتهال: أن تمد يديك جميعاً) (٢)، وورد في كتاب نظرة النعيم (الابتهال).

---

(١) صحيح سنن أبو داود وتلقي العلم لا يكون الا على يد شيخ موثوق في علمه متصل بسنده إلى السند الأساسي إلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والاهتمام بالسند ما هو إلا لتكون=

فالله عز وجل حاشاه أن يرد يداً رفعت بخضوع وتذلل مستشفعة بالصلاة والسلام على حبيب الله ورسوله ﷺ.

وأستغفر الله في الختام وأسأل لي ولكم حسن الختام وأن يغفر لنا بجاه خير الأنام، جميع الذنوب والآثام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

= سلسلة متصلة بالنور النبوي الأساسي . ولهذا نجد النفع الكامل وفتح البصيرة عندنا يتلقى العلم المسند المتصل فأين دكاترة الجامعات من هذا السند!!.

الخلق من طين والطين معادن

صدق المصطفى ﷺ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه وتجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » (١)

وروي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » (٢)

خلق الله الإنسان (آدم عليه السلام) من طين الأرض وأودع فيه النور الإلهي ونفخ فيه الروح وخلق حواء من ضلعه، وتم التناسل واختلفت أشكال وصفات البشر فألوان بشرتهم تتفاوت من بياض ناصع إلى سواد غامق. ومثلما تحمل ألوان التربة تحمل صفات التربة.. يقال (الناس معادن) منهم الإنسان القيم النفيس مثل الذهب ومنهم الرخيص مثل الرصاص ومنهم من هو لا قيمة له تذكر. ومنهم من هو ضار وخطير أو ضرره أكبر من فائدته مثل اليورانيوم. وكما قيل إن الناس مثل المعادن التي خلقوا منها أقول اليوم إن البشرية مثل البطارية في هذا العصر.

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

فهناك بطارية منفعتها محدودة وشحنتها محدودة، وبطارية منفعتها كبيرة وشحنتها عالية، وبطاريات أخرى قابلة للشحن وقد تكون طاقتها الاستيعابية ١,٥ فولت وأخرى ٤٠٠ فولت.

ولقد أثبت العلم إن كل البشر تحيط بهم هالة من نور أو إشعاع أو طاقة حرارية حددت بصورة الأشعة والتصوير الحراري أو ما يسمى البصمة الحرارية، هذا هو الإشعاع المرئي.

ولكن هناك أنوار وإشعاعات تكتسب وتنبثق من البشر لا ترى بالعين المجردة أو بالأجهزة الحديثة، وهذه ما تسمى بالأنوار والأسرار الإلهية. ولقد قلنا سابقاً إن هذه الأنوار أو الشحنات ترد للبطاريات من الوارد، وله طرق عدة المدد الإلهي والفتح الإسلامي وقراءة القرآن والذكر والصلاة والصيام والصلاة على الحبيب ﷺ ومجالس العلم والنظر إلى العلماء.

والعوام تنقص شحناتهم بالذنوب واللمم. والعلماء المربين والأولياء تنقص شحناتهم بالعطاء والمدد الذي يمدون به المريدين والتلاميذ والمحتاجين وذلك يكون بالنظر والمصافحة.

وكلاً بحسب ما قدر الله له من عطاء وطاقة إمداد، وكذلك الطرف الآخر يستمد بقدر استعداده التكويني الذي وهبه الله له، والمحروم هو من ران على قلبه وحرم من الأخذ من هذا المدد النوراني مثله مثل البطارية الغير قابلة للشحن.

فهكذا البشر منهم من يعطي ويأخذ ومنهم لا يعطي ولا يأخذ ومنهم يأخذ ولا يعطي أو يعطي ولا يأخذ.

فالكل محتاج إلى المدد النوراني بقدر الهالك منها في الحياة اليومية.

ألا فقد عرفت فالزم

الباب الخامس

يوم الجمعة

يوم الجمعة

قال تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (١) . فالشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

الجمعة : فرض عين على كل مسلم. الجمعة يوم عيد للمسلمين وإجازة الإلهية سرمدية لما فيها من الأسرار الإلهية والبركات والأسرار فيها ساعة الإجابة وهو يوم فيه خلق سيدنا آدم ويوم أهبط فيه من الجنة إلى الأرض. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وأشار بيده يقللها» (٢) . وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال، قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول أسمعت أباك يحدث عن : رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة قال، قلت نعم سمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » (٣) . وعن أوس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا : كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت،

---

(١) سورة البروج : ٣

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه مسلم .

أي يقولون بليت، قال ﷺ إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام » (١) . وفي الأحياء (٢) . يستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة (اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك). فيقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر.

لقد من الله على عباده بمكرمات عدة خلال العام تتجدد كل عام يبدأ بها أفراحه بالعشرة الأول من محرم حيث خصها بفضائل عدة وبرجب وذي القعدة وذي الحجة فحرمها وأجزل العطاء في عبادتها، واختار شهراً هو سيد الشهور في العبادة هو شهر رمضان لما فيه من خير مضاعف باختصاص العشر الأواخر منه. واختار من شعبان ليلة النصف منه. فهذه مواسم وأعياد يفرح فيها المسلم بالمغفرة ومضاعفة الجزاء فيها. بل أكرمنا الله بتجدد ذلك اللقاء الرباني في كل أسبوع بيوم الجمعة ليلته ونهاره، ومن الجمعة للجمعة كفارة، خص يوم وليلة الاثنين لمولد نعمة الله ورحمته على خلقه ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣) . وقال ابن عباس: فضل الله.. القرآن ورحمته.. سيدنا محمد ﷺ) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٤) .

وبهذه النعمة التي أخرجتنا من الضلالة إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور نحتفل بالشكر والصلاة خمس مرات، وأكرمنا بأضعاف مضاعفة في كل

---

(١) رواه النسائي

(٢) سنن ابن ماجه ٢ / ٣٤٥

(٣) سورة يونس : ٥٨

(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧

لحظة ونصلي ونسلم على سيدنا رسول الله ﷺ وهو يوم ولد فيه وبعث وهاجر وانتقل إلى رحمة الله وفيه ترفع الأعمال.

ألا إنك قد عرفت فالزم

وعلى سبيل المثال لا الحصر يوم الجمعة لقول رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن يصلي وقبض أصابعه يقللها يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه » رواه الإمام أحمد. فيوم الجمعة هو سيد الأيام.

فإذا كان سيدنا محمد ﷺ أول نبي في الخلق وآخر نبي في البعث. وجبت له النبوة وآدم في طينته قبل خلقه حتى أودع الله نور نبيه في طينته. وما خلق من مخلوقات إلا لأجله فهو رحمة مهداة خص الله عباده في كل لحظة في اليوم والشهر والسنة بالصلاة على الحبيب بعشر صلوات من الله ولنحتفل في كل لحظة وساعة ويوم وشهر وسنة. ألا فقد عرفت فالزم.

عن أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفوراً له » ذكره السيوطي في خصوصيات الجمعة ص٣٥ وقال رواه البزار والطبراني.

عن أبي الجعد الضمري وكان له صحبه قال قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه » (١)

روى عن سمرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سنن ابن ماجه ج٢ ص٣٥٧ .

: « احضروا الجمعة وادنوا من الإمام فإن الرجل ليتخلف عن الجمعة حتى أنه ليتخلف عن الجنة وإنه لمن أهلها » (١) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت » (٢) ، وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغى » (٣)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » (٤)

ليلة النصف من شعبان

قد جرت عادة عامة المسلمين بالاجتماع في هذه الليلة لإحيائها بالدعاء والابتهال إلى الله، اغتناماً لفضلها المأثور فيدعون بهذا الدعاء وهو :

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سنن ابن ماجه ج١ / ٣٤٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطول والإنعام لا إله إلا أنت، ظهر اللاجئين وجار المستجيرين وأمان الخائفين اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقتراً علي في الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي واكتبني عندك في أم الكتاب سعيداً مرزوقاً موفقاً للخيرات فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾(١) . إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم أسألك يا أرحم الراحمين أن تصرف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

أصل الدعاء

قال العلامة الألوسي في تفسير آية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾. أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وغيره عن ابن مسعود قال: (ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع الله عليه في معيشته) .

وأخرج عبد ابن حميد وغيره عن عمر رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت (اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنباً فامحه واجعله سعادة ومغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب) .

---

(١) سورة الرعد : ٣٩

المراد بأم الكتاب

وأم الكتاب في هذه الأدعية (اللوح المحفوظ) الذي كتب الله فيه أحوال خلقه وهو المعنى المشهور لها في الآية الكر يمة، كما قاله الآلوسي وسمي أم الكتاب فالشقاوة المكتوبة فيه تمحى منه وتزال، وتثبت فيه السعادة بدلها بسبب الدعاء المستجاب وإلا لم يكن للدعاء فائدة. وهذا وجهه والمشهور أن المحو والإثبات هو في ألواح الملائكة، بينما أم الكتاب واللوح المحفوظ فلا محو فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم× وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ × إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ × فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (١)

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يسح الله تعالى الخير، أي يصبه أي يمضي ما قدر أزلاً من اتصال الخير إلى عباده ويأمر الملك الموكل من إمضاء ذلك فيمضيه، في أربع ليال سحاً وذكر منها ليلة النصف من شعبان » أخرجه السيوطي، والخلاف في العدد والمسميات فمنهم من عدها خمساً ليلة الجمعة وأول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتي العيدين، ومن أسماء ليلة النصف من شعبان القسمة للأرزاق والتقدير لما يقضي الله فيها من أمره الخطير. فقد روي عن عطاء بن يسار قال: (إذا كان ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت اسم كل من يموت من شعبان إلى شعبان) أورده شهاب الدين أحمد حجازي الفشني في تحفة الأخوان. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم فما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان) (٢)

---

(١) سورة الدخان: ١ – ٤ .

(٢) رواه البخاري .

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين و يملي للكافرين) أخرجه السهيلي. أي يمهلهم، (ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه، أي يتركوا الحقد) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعاً رأسه إلى السماء، فقال أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله، قالت، ما ذاك بي يا رسول الله ولكن ظننت أتيت بعض نسائك، فقال ﷺ : « إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب » (١)

دعاؤه ﷺ ليلة النصف من شعبان

يقول في سجوده :
« سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وهذه هي يدي وما جنيت بها على نفسي، يا عظيماً يرجى لكل عظيم اغفر لي الذنب العظيم، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقابك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »، أقول كما قال أخي داوود عليه السلام :

أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجهي سيدي أن يعفرا

ثم رفع رأسه من السجود فقال اللهم ارزقني قلباً نقياً من الشرك تقياً لا كافراً ولا شقياً. فمن الوارد قوله عليه الصلاة والسلام : « يطلع الله تبارك وتعالى

(١) أخرجه أحمد وابن حبان في لطائف المعارف لابن رجب .

على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنين مشاحن وقاتل نفس » (١)

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال، قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان، قال : « ذاك شهر غفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » (٢)

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنين مشاحن وقاتل نفس » (٣)

عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله تعالى ينزل لغروب الشمس إلى السماء فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر » (٤)

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا قاطع رحم ولا إلى مسبل ولا إلى عاق والديه ولا إلى مدمن خمر» (٥)

ألا إنك قد عرفت فالزم

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه النسائي .

(٣) رواه الإمام أحمد .

(٤) رواه ابن ماجه .

(٥) أخرجه البيهقي بإسناده .

الباب السادس

الحقيقة النورانية

المحمدية

القرآن الكريم يكشف عن الحقيقة النورانية المحمدية

لقد تحدث القرآن الكريم عن النور في شتى صوره ومسمياته، وحقائقه المعنوية والحسية، تحدث عنه صفةً لله وحقيقة للرسول ـ إشارة إلى أنه أساس الخلق والإيجاد وأول موجود على الإطلاق ـ كما تحدث عنه صفة للمؤمنين، وحقيقة للإسلام، والقرآن وصفة للنيرين الشمس والقمر ـ إشارة إلى النور الحسي ـ ففي ذلك يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(١) . ويقول : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾(٢) . ويقول : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ ﴾(٣) . ويقول: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾(٤) ويقول: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾(٥) . ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾(٦) .وغير ذلك من آيات الله كثير.

وإذا أردنا أن نستجلي الآيات التي تشير إلى الحقيقة النورانية المحمدية لاستوقفنا قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

---

(١) سورة النور : ٣٥

(٢) سورة المائدة : ١٥

(٣) سورة الحديد : ١٢

(٤) سورة الزمر : ٢٢

(٥) سورة التغابن : ٨

(٦) سورة يونس : ٥

مُبِينٌ × يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلام وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧) . ولو تأملنا مضمون الآيتين لوجدنا أن الذي أسند إليه المجيء إلى أهل الكتاب هو الرسول ﷺ، والملاحظ أن لفظ جاء تكرر في الآية الأولى مرتين، مرة في أولها، وقد أسند إلى رسولنا ومرة في آخرها وقد أسند إلى نور وكتاب مبين، وما كان استبدال لفظ رسولنا بلفظي نور وكتاب مبين في إسناد المجيء إلا ليدل على أن الرسول هو نور، وهو كتاب مبين، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فالرسول نور من جهة، وكتاب مبين من جهة. فهو ﷺ نور من جهة الحقيقة فهم هذا من فهم. وقد يفهم البعض أن وصفه ﷺ بالنور جاء على سبيل المجاز، وما يستلزمه من البيان والهداية والتبصرة، ولكل ما يفهم، كما أنه ﷺ كتاب مبين من جهة أنه ﷺ المظهر الأول لقلم القدرة، الذي بين الله من خلاله وأظهر جميع الكائنات فهم هذا من فهم، وقد يفهم البعض أنه كتاب مبين على سبيل المجاز لأنه سيقوم بتبيين ما نزل إليه للناس أو أنه كتاب مبين في معنى كان قرآناً يمشي على الأرض.

والحقيقة أنه ﷺ نور من حيث التعين الأول، وكتاب مبين من حيث العيان والظهور في مختلف مظاهر الكون، ويؤكد ذلك أن ماأنزل عليه من وحي وصف على سبيل الحقيقة (بالنور) لذلك فهو ﷺ نور على نور من حيث الحقيقة، لأنه نور والكتاب الذي أنزل عليه نور. ويقول العلامة الآلوسي رحمه اه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ إن النور، والكتاب في الآية هما النبي ﷺ..

(٧) سورة المائدة : ١٥ – ١٦

كما يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ قد أشار الحق عز وجل إلى حقيقته الذاتية التي أوجد بها ما جاء في كلامه العزيز ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾. أي ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أبرزته العناية الإلهية من مكامن العماء و ﴿كتاب﴾ طه قلم الباري في صحائف الإمكان جامعاً لكل كمال. وهما إشارة إلى النبي ﷺ بدليل عود الضمير عليهما مفرداً. حيث يقول تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ ولم يقل: يهدي بهما. ولو استقرأنا آراء المفسرين من الصحابة - خير القرون - لوجدناهم يقررون أن المراد بالنور في الآية هو النبي ﷺ. هذا ومن الآيات التي تشير أيضاً - إلى هذه الحقيقة النورانية المحمدية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً × وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾(٨). فقد تضمنت الآية عدة أوصاف للنبي المرسل ﷺ منها: المحمدية على أساس أن الآية تشير إلى هذه الحقيقة من طرف خفي فلذا قالوا إن المثال يعني صاحب هذه الحقيقة وهو سيدنا محمد ﷺ فالمصباح إشارة إلى قلب النبي ﷺ والزجاجة إلى صدره والمشكاة إلى جسده الكامل ولذا كان جسده جسداً نورانياً لا ككل الأجساد كما سبرى في باب الأدلة المرئية. وفي هذا التفسير إشارة إلى حقيقته النورانية أصل الوجود وحياة كل موجود، فكما أن القلب ينير الجسد إذ هو سبب حياته ووجوده فكذلك نوره ﷺ هو سر الوجود كله وسبب ظهور كل موجود إذ به افتتح الله الوجود فكان نوره ﷺ مظهر التجلي الأول، وعلى هذا التفسير يفهم كيف يكون قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾. (١)

كما يمكننا أن نفهم هذه الحقيقة من التفسير الظاهري لها وهو أنه سبحانه منورهن بما هو معروف لنا من مصادر النور الحي كالشمس. إذن الشمس نور السموات والأرض بالنسبة لنا أي سبب النور الظاهر لنا، وسبب نور

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٥ – ٤٦

الشمس ـ كما يقول ـ العلم الحديث ـ نور ذراتها وسببه نور مكوناتها وما سبب هذا النور الأخير؟ لابد أن يكون نوراً أرقى وهكذا إلى أن ننتهي إلى النور الأول الذي سبب وجوده الواجد جل جلاله الذي قال : ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾. ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿نور على نور﴾ فإن مما يشير إليه أن الموجودات أنوار قام بعضها على بعض كما يوضحه المثال المضروب، فنور المشكاة قام على نور الزجاجة، ونورها قام على نور المصباح، ونوره قام على نور الزيت، ونوره انتهى إلى الأصل الأول وهو الشجرة ـ كأساس مادي تراه العيون ـ وينتهي علم العقل الاستنباطي إلى أن سبب هذا الأصل هو خالقه. وإن كان ثمة حلقة مفقودة وهي نهاية سلسلة الموجودات حتى تنتهي إلى خالقها، ولا سبيل إلى معرفة هذه البداية إلا من خالق البداية، وقد أوضحتها الآيات السابقة وبينتها الأحاديث التي سنوردها بعد والتي قررت أن أصل الأصول المخلوقة كلها هو نور النبي ﷺ وفي هذا الفهم لقوله ﴿نور على نور﴾ تأكيد لنا سبق أن قلناه من أن النور المكثف وهو الماديات يقوم على النور الحسي، وهو بدوره يقوم على النور المعنوي ذي المراتب المتعددة التي تنتهي إلى قمتها وهو النور المعنوي الأول ـ الحقيقة المحمدية ـ الفائض من حضرة القدس.

فالموجودات ـ في الحقيقة ـ تقوم كلها على نور ـ كما أثبت العلم الحديث في مجال الماديات ـ ونورها قائم على النور الأول القائم بنور الحق جل جلاله ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾ على الحقيقة، قيوم السموات والأرض ومن فيهن الله رب العالمين سبحانه وتعالى.

إن هذه الآية الكر يمة لدليل على الحقيقة النورانية المحمدية حقيقة أصل الموجودات ولما خفي على الكثيرين قربه الله إلى العقول بضرب المثال ﴿ وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾. وما كان لأرباب العقول أن يعقلوها إلا بضرب مثال، لأنها أمر غيبي ولذا قال تعالى في نهاية الآية : ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ إن ما يؤكد ما أشارت إليه هذه الآية، وصف الله له ﷺ بالسراجَ

المنير في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾(١) . ووصفه بالنور في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٢) . ويقول العلامة الألوسي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ : النور هو الله تعالى ومن أسمائه النور وهو الظاهر بذاته والمظهر لغيره ، فنور الله جل جلاله غير متناهي الشدة ، وماسواه تعالى أنوار متناهية في الشدة لأنها مخلوقة حادثة فمنه أي أبرز الله النور الكلي الذي خلق منه أنواراً عقلية ونفسية وجسمية وغير ذلك .

إذاً فهو ﷺ ـ كما جاء في القرآن الكريم على سبيل الحقيقة ـ النور الأول ، ومصباح الوجود ، والسراج المنير في ذاته ، وفي جميع مظاهر الوجود ، كما بينت الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن أن النور حقيقته ﷺ هو أول ما خلق الله ومنه خلق كل شيء (وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد) .

بهذه الإشارات القرآنية المبينة بالسنة المطهرة ـ على ما سبرى ـ ثبت أن نوره ﷺ ، نور ذاتي ، ومنحة إلهية حبا لله به الوجود فلولاه ما كان الذي كان (سبقت بذلك الإرادة الأزلية). كما ثبت أن نوره حقيقة له ﷺ وليس وصفاً يُؤول على ما يستلزمه من الهداية والإرشاد والتبيين. وعلى ذلك فإن هذه الآيات القرآنية المتضافرة لخير دليل ديني على أن نور الوجود كله وأصل كل موجود ، هو نوره ﷺ ، سر الأسرار ونور الأنوار المخلوقة كلها الحسية والمعنوية. فلولا هذه الإشارات القرآنية والبيانات النبوية لهذه الحقيقة الفريدة ، لاستمرت العقول في عجزها عن إدراكها وعن معرفة بداية البدايات

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٥

(٢) سورة النور : ٣٥

والنهايات، حقيقة الحقائق المخلوق الأول صاحب المرتبة الأولى في الظهور ﷺ.

وإذا كان لنا أن نضيف إلى هذه البراهين القرآنية آيات أخرى فسيكون على سبيل الاستئناس، فقد ظهر الحق لكل ذي عينين.

فإنه من الثابت قرآناً وسنة، أنه ﷺ حق ومن المعروف أن حقيقته وما وصف الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه الحق إلا إشارة إلى حقيقته ﷺ السابقة على كل الحقائق المخلوقة ومن الآيات القرآنية التي تقرر ذلك لرسول الله ﷺ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾(١). يقول العلامة الخطيب في تفسيره: المراد بالحق هو النبي ﷺ يشهد له قوله تعالى: ﴿) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾(٢). واللغة تقول إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وأقرب مذكور من الضمير هو لفظ محمد ﷺ ولعل قائلاً يقول: إن المراد بالحق هو ما نزل عليه من وحي صحيح.

نقول وعلى فرض ذلك فإذا كان ما نزل عليه ﷺ هو الحق فإن المنزل عليه ﷺ من باب أولى كذلك. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾(٣)

فمن المعلوم أن الذي جاء إليهم هو سيدنا محمد ﷺ ولكن الله قال عنه ﷺ: ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ..﴾ وما يدل على أن المراد بالحق هو سيدنا محمد ﷺ، ما كان من موقف من جاءهم فقد قالوا عنه: ﴿فى الأرض ولا يصلحون ..﴾.

---

(١) سورة يونس: ١٠٨

(٢) سورة محمد: ٢

(٣) سورة القصص: ٤٨

ويشهد لذلك ـ أيضاً ـ قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾(١) . فإن المتأمل يدرك ملمحاً فوق ما يعطيه ظاهر هذه الآية وهو أن ما خلق الله من شيء السموات والأرض.. وما بينهما له أصل واحد. يلمح ذلك من قوله بالحق الذي يشير إلى صاحب الحقيقة النورانية ﷺ.

ندرك هذا من قوله تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون﴾. فإن من تفكر في نفسه وأصل خلقته وأدرك أن البشر جميعاً ـ على اختلاف أجناسهم وألوانهم ـ أصلهم واحد مع أنهم ظهروا في مظاهر متباينة لعلم أن الكون جميعه على مختلف مظاهره أصله واحد وهذا الأصل هو أول حق أظهره الحق جل جلاله ومنه خلق جميع الكائنات، ويشهد لذلك ـ أيضاً ـ قوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (٢)

ومن الشواهد على ذلك ـ أيضاً ـ أنه ﷺ في حقيقته النورانية أول من أسلم وانقاد لله قبل كل من أسلم ممن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾(٤)

فإذا كان الإسلام يفهم أنه جاء مع بعثته ﷺ ففي الحقيقة أن الإسلام والإقرار بربوبية الخالق جل جلاله كان من يوم إيجاد الخليقة يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(٥)

(١) سورة الروم : ٨

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤

(٣) سورة آل عمران : ٨٣

(٤) سورة الأنعام : ١٤

(٥) سورة الأعراف : ١٧٢

فما من شيء وجد إلا وقد أسلم وانقاد لخالقه حسب مراده وسابق علمه وهذا يقتضي أن يكون هناك أول من أسلم وهو أول مخلوق وجد وفي ذلك إشارة إلى أوليته في الخلق ﷺ فهو أول من وُجِّه إليه الأمر بكُن. يشبه لذلك ما جاء في الحديث : « يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله تعالى أول كل شيء نوري فسجد له فبقي في سجوده سبعمائة عام » (١)

ويشهد على ذلك ـ أيضاً ـ قوله تعالى : ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العبدين ﴾(٢) . ولكي نتعرف على ما في هذه الآية من إشارة إلى أولية وجود حقيقته النورانية ﷺ، نورد ما قاله الإمام التورتيجي في تفسيره لهذه الآية. فقد ذكر أن سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه قال : أول ما خلق الله نور محمد ﷺ قبل كل شيء وأول من وحَّد الله في خلقه عز وجل ذرة محمد ﷺ وأول ما جرى به القلم « لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ثم يقول التوريجيبي معقباً : إن هذه الآية فيها إشارة إلى أوليته ﷺ في عبودية الله وإشارة إلى بدء وجوده في إتيانه من العدم بنور القدم وانقياده في أول تجلي له جل جلاله. اهـ.

ولذلك أمره الله تعالى أن يقول وهو في عالم العيان ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ . . ﴾ أي على زعمكم لكنت أول من يعرف ذلك ﴿فأنا أول العابدين ﴾ أي الطائعين الساجدين المنقادين لإرادته وقدرته تعالى. فأنا أول من قيل له كن وأول من تحقق فيه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) . فأنا أول مراد اقتضت وجوده الإرادة الأزلية فأنا لذلك العابد الأول والمخلوق الأول فلو كان للرحمن ولد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لكنت أول عارف بذلك.

---

(١١) ذكره صاحب المواهب .

(١٢) سورة الزخرف : ٨١

(١) سورة النحل : ٤٠

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ × اللَّهُ الصَّمَدُ × لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ × وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ×﴾ (١) . ومع أن الله عز وجل جعل في رسوله ﷺ شواهد كثيرة مرئية تدل على الحقيقة النورانية المحمدية ـ كما سبرى في باب الأدلة المرئية ـ إلا أن هناك الكثيرين من عموا عن إدراك ذلك وفي هذا يقول تعالى : ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (٢) . فما رأوا فيه إلا رجلاً ككل الرجال أما ما يدل على حقيقته فقد عما عنها. قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٣) . ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (٤)

وأخيراً لو تأملنا قوله تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٥) . لوجدنا فيه إشارة إلى حقيقته ﷺ فما كان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إلا لأنه ﷺ أصل وجودهم يؤكد ذلك ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وما كانت هذه الخصوصية لأزواجه ﷺ لغير ما فائدة أو أصل. ولعل أصل الأصول في ذلك الإشارة إلى حقيقته ﷺ ، أساس الوجود ولب في كل موجود فمعنى أن تكون أزواجه أمهات المؤمنين أنه ﷺ أبوهم فيما تحمله هذه الكلمة من معنى الأصل وسبب الوجود كما أن الأب ، سبب في وجود الأبناء. ولقد ورد أنه ﷺ قال أنا أبو الأرواح وآدم أبو البشر (٦) . هذا هو عطاء القرآن في الإشارة إلى الحقيقة النورانية المحمدية والتي حاولنا استجلاءها من خلال ما سقناه من آيات قرآنية ، وإذا كان ما

(١) سورة الإخلاص
(٢) سورة الأعراف : ١٩٨
(٣) سورة الحج : ٤٦
(٤) سورة المطففين : ١٤
(٥) سورة الأحزاب : ٦
(٦) كتاب محاضرة الأوائل

ورد من آيات بهذا الصدد جاء على سبيل التلميح لا التصريح والإجمال لا التفصيل والإشارة لا العبارة فهذا دور القرآن الكريم تاركاً للسنة المطهرة أن تبين وتفصل وتصرح وتعبر عن كل ما أشار إليه القرآن الكريم أو ألمح أو أجمل. فيا ترى ما هو عطاء السنة المطهرة حيال هذه الحقيقة النورانية المحمدية؟ فهذا ما سنعرفه من خلال الدليل النقلي الثاني : الأحاديث القدسية والنبوية تكشف عن الحقيقة النورانية المحمدية. هذا والله الموفق.

السنة المطهرة تكشف عن الحقيقة النورانية المحمدية

وقبل أن أبدأ في الاستدلال بالسنة المطهرة على هذه الحقيقة النورانية المحمدية، أحب أن أقرر أنه صلوات الله عليه وسلامه قد أخبر عن هذه الحقيقة ـ نور الوجود وأصل كل موجود ـ منذ أربعة عشر قرناً تقريباً فيما يقرب من ثلاثين حديثاً أو قد تزيد ما بين حديث قدسي ونبوي منها ما ورد إلينا بروايات متعددة كالحديث الذي رواه سيدنا جابر رضي الله عنه ـ وهو العمدة في إثبات هذه الحقيقة ـ على الرغم مما ناله من إنكار أو تضعيف. تقوية الآيات والأحاديث الشريفة الأخرى.

ومما يجب لفت النظر إليه أن لكثرة الأحاديث التي تقرر الحقيقة النورانية المحمدية، دلالة على أهميتها وخطورة مضمونها وهذا جدير بأن يجعلها محل اهتمام وعناية، إلا أن الغالبية العظمى من المسلمين وقفوا من هذه الأحاديث موقفاً سلبياً، وكان غاية ما قاله فريق منهم هو : الله أعلم بمراده بما ورد فيها.

وظهر فريق آخر تأول وقال : إن المراد بالنور المحمدي هو الهداية والإرشاد، وأن الأولية بالنسبة له ﷺ هي أولية تفضيل وتكريم وتقديم ولا تعدو أن تكون أولية معنوية لا أولية في الخلق والإيجاد، وظهر فريق ثالث حكم العقل فيما تضمنته هذه الأحاديث فما كان منه إلا الإنكار، حيث لم يكن في وسعه أن يصدق أن الموجودات جميعها خلقت من نور هو حقيقته ﷺ.

إن هذه المواقف كلها يجب أن تنتهي لأن الله قد أراد ذلك فقد أضحت العلوم

الحديثة دليلاً مادياً قوياً على صدق هذه الأحاديث وما تضمنته من حقيقة أصل الموجودات.

إن هذه العلوم تقول لنا كفى بكم جهلاً بما أخبر به الرسول الكريم ﷺ عن حقيقة بدء الخلق طيلة هذه القرون. وكفى بكم إنكاراً لحقائق ثابتة، فهي وإن كانت كبيرة على العقول في الأزمان السالفة، وكان لا يؤمن بها إلا القلة القليلة من المؤمنين الذين كان لا يسعهم إلا التصديق بما جاء عن الله ورسوله الكريم ﷺ، فإنها أصبحت الآن وفي ضوء العلم الحديث ـ الذي أتاحه الله للبشرية في عصرها الحاضر ـ أمراً مقرراً ينبغي أن لا يختلف فيه اثنان.

وكأني بالعلم الحديث يقول لهؤلاء المنكرين : إنه كان من الواجب عليكم عند سماع أحاديث النور هذه ـ وإن كان قد غم عليكم فهما ـ أن تسلموا بها بدلاً من إنكارها إلى أن يظهر لكم ما فيها من معاني جليلة، وحقيقة عظيمة.

فإن هذه الحقيقة النورانية المحمدية التي أشار إليها القرآن الكريم والتي تضمنتها السنة المطهرة، ليست أولى الأسرار الغيبية الكبيرة على العقول. فدينكم مليء بالأسرار الغيبية التي تعظم على العقول، ولا تقوى على تعقلها أو التصديق بها إلا عن طريق التسليم والإذعان لما جاء به الدين.
ولو أدركنا هذا جيداً ما حدث إنكار لهذه الحقيقة النورانية المحمدية، ولكن سبق القدر بما كان وما هو كائن.

هذا والله يتولى هدانا جميعاً.

أولاً ـ الأحاديث القدسية الكاشفة عن الحقيقة النورانية المحمدية :
إن حقيقة بدء الخليقة بالنور المحمدي قد ذكرها رب العزة في أكثر من حديث قدسي على سبيل الإشارة، نلحظ ذلك من ذكر أفضليته ﷺ على سائر خلقه، ومن وجوب معرفته والتحذير من خطورة الجهل به على

الحقيقة التي أشار إليها ﷺ بقوله: « والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي.. (١) . ومن الأمر الصادر للسادة الرسل قبله أن يؤمنوا به، ذاكراً سبب ذلك ببيان أن اسمه قد سبق كل الأسماء وأن آدم خلق من أجله وكذا الجنة والنار أو النعيم والعذاب وكذا السموات والأرض ونلحظ ذلك ـ أيضاً ـ من التنويه بذكر أن شيب ابن آدم نور من نور له نسبة من خالقه. ففي الحديث: « يا ابن آدم الشيب نور من نوري وأني أستحي أن أعذب نوري بناري فأستحي منه » (٢) . وهذا يعني أن وراء الظاهر ووراء الخيال حقيقة فهذا الشيب أصله نور وفي ذلك لفتة خفية إلى حقيقة ابن آدم وأن أصل حقيقته نور، هذه إشارة. وفي إشارة أخرى يروى أنه ﷺ قال: « أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي (٣) . أراد بذلك التعريف بقدره والبحث عن السر الذي جعله ﷺ مذكوراً دائماً في الأولين والآخرين بدوام ذكر الله، فما هذا السر الذي جعله ﷺ في هذه المكانة الرفيعة؟ يشير إلى هذا السر ما رواه ابن عاصم في السنة وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه: أن الله تعالى قال: يا موسى إنه من لقيني وهو جاهل محمداً أدخلته النار. فقال موسى: ومن محمد؟ قال: يا موسى وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي قبل أن أخلق السموات والأرض بألفي ألف سنة. ففي هذا الحديث إشارة إلى أن السر في ذلك يرجع إلى أوليته ﷺ في الإيجاد وأسبقيته على سائر الكائنات ـ على نحو ما قررته الأحاديث النبوية الآتي ذكرها ـ وإلا لماذا كان هذا الخطاب شديد اللهجة من الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام؟ الأمر الذي جعله يبادر بمعرفة هذا الذي إذا ما جهله أحد أدخله الله

---

(١) ذكره النبهاني في كتابه حجة الله على العالمين .

(٢) اللواء الإسلامي الصادر في ١٢ / ٥ / ١٩٨٦ صفحة ٦ .

(٣) رواه أصحاب السنن وابن كثير في تفسيره سورة الشرح

النار، فيكشف الله له عن بعض من خصوصياته ﷺ ويقرر أنه أكرم الخلق على الله وأن اسمه قد سبق كل الأسماء فكان معروفاً قبل خلق السموات والأرض ومن فيهن بألفي ألف سنة. أليس في هذا إشارة إلى أوليته ﷺ وأسبقيته على سائر الموجودات؟ يؤكد ذلك ويوضحه ما رواه الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار. ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله فسكن. ولعل هذا هو السر في أن اطمئنان القلوب صار بذكر الله، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١). فتأمل.

ففي هذا الحديث يوحي الله تعالى إلى سيدنا عيسى عليه السلام أن يعترف بسيدنا محمد ﷺ وأن يوصي من أدركه من أمته بذلك ولكن لماذا هذا النبي بالذات؟ يبين الله سر ذلك في معرض هذا الحديث القدسي بذكر أن هذا النبي هو السبب في إيجاد الكائنات فلولا وجوده ما وجد شيء، ولذا فيجب على كل شيء الاعتراف به ﷺ، إذ هو الأصل وكيف يتنكر الفرع للأصل؟ إذا حدث هذا حرم الفرع عطاء الأصل واستحق عذاب الحرمان، ولذا قال: « ولولاه ما خلقت الجنة والنار ». وإذا كان الله قد أخبر السادة الرسل عليهم السلام عن حقيقة نبيه محمد ﷺ فقد أخبر نبيه ﷺ عن حقيقة نفسه فيما رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « أتاني جبريل عليه السلام وقال: يا محمد لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار ». وأيضاً فيما رواه البيهقي بقوله: « لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك ».

ومعنى هذا أنه لولا وجود حقيقته الأولى ﷺ التي جعلها الله أصلاً لوجود

---

(١) سورة الرعد : ٢٨

الموجودات، ما وجدت جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض ولا إنس ولا جن. وفي هذا دليل على أن حقيقته ﷺ أصل كل موجود وأن وجود الموجودات مترتب على وجود الحقيقة النورانية المحمدية سابق على كل الموجودات، وما ذلك إلا لأنه ﷺ في حقيقته أصل والكل فرع منه. ومن المقرر عقلاً أنه لولا وجود الأصل ما وجد الفرع، وعلى ذلك فلا ينبغي أن نتساءل كيف تكون حقيقته ﷺ أصل وجود الأشياء ثم يظهر ﷺ بشراً بعدها بمراحل؟ لأن هذا وارد وثابت في المحل المشاهد لنا إذ أن هناك من الموجودات المادية ما يكون وجوده هو الأصل ومع ذلك يتأخر في الظهور ويكون هو المقصود بالظهور، فها هي نواة النخلة ـ مثلاً ـ تزرع بغية الثمرة. فأين الثمرة من النخلة؟ وأين النخلة من النواة ففي الحقيقة مع أن الثمرة متأخرة في الظهور عن النخلة والنواة إلا أن لها أسبقية الوجود المقصود لذاته ولولاها لكانت الزراعة عبثاً. وهكذا الحقيقة النورانية المحمدية بالنسبة لسائر الكائنات. ولذا تقرر أن عدم ظهور الشيء للعيان لا يعني عدم وجوده، فالروح مثلاً لا ترى ولكنها موجودة قبل وجود الجسد وحتى بعد مفارقتها له أو تخليها عن هيمنتها عليه في عالم الأجساد، وحيث أن حقيقته ﷺ أمل كل شيء، فتكون موجودة في كل شيء.

ولا تفارق وجود أي شيء، لأنه ما من شيء إلا وهو أصله، وفيه سره. فهناك في مشاهدتنا أمور كثيرة تدل على ذلك سواء في الإنسان أو الحيوان أو النبات فلو تأملنا في النبات لوجدنا أن في البذرة شجرة وثمرة كما أن في الطفل رجل وذرية، أي في الشيء أصله وفرعه حتى ينتهي الأمر إلى الأصل الذي ليس بفرع.

ولقد أشار إلى هذه الأصالة والمرحلية في الظهور ما رواه أصحاب السنن والمسانيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قا: « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه ».

ففي تنقله ﷺ من قرن إلى قرن من لدن آدم عليه السلام أي من عالم البطون والخفاء إلى عالم الظهور والعيان إشارة إلى أن الوجود وجودان، وجود في عالم البطون ووجود في عالم الظهور، وأن عالم البطون أسبق من عالم الظهور وكما أن لكل ظاهر أصل ـ كما هو مشاهد ـ فلكل باطن أصل، بل إن ما في عالم البطون أصل لما في عالم الظهور.

فمن المقرر والثابت أن أي اختراع وابتكار ظهر على يدي مهندس ما، كان أصله فكرة باطنة سبقت هذا الظهور، كما أنه من المقرر أيضاً أن أول ما يخطه القلم في إيجاد دائرة ـ مثلاً ـ هو مركزها، وأن هذا المركز هو السر في وجود الدائرة، إذ لولاه ما ظهرت الدائرة إلى عالم الظهور. هو شأن الحقيقة النورانية المحمدية بالنسبة للموجودات إنها مركز دوائر ـ الوجود كلها، كما أنها مركز جلال النور المبين لدائرة التجليات الإلهية، من حيث إنها مظهر التجلي الصفائي الظاهر في كل المظاهر، فكما أنه لولا وجود المركز ما عرفت الدائرة لأنه أساسها وهو نقطة بروزها.

ومن ثم كانت العناية متوجهة أولاً لإيجاد المركز، لإيجاد الدائرة وغيرها من الدوائر. فلذلك لولا ظهور النور الأول في دائرة الوجود ما ظهرت دوائر الوجود على مختلف أنواعها وأشكالها.

فلا عجب إذن أن ينادي الحق نبيه ﷺ بلسان الدلال والأفضلية بقوله تعالى في حديثه القدسي: « لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك » أي لولا ظهور حقيقتك النورانية أثراً أول للنور القديم ما ظهرت أفلاك الوجود بأثره، ولله در من قال في حقه ﷺ:

وأصبحت معشوق القلوب بأسرها ولا ذرة في الكون إلا لها قلب

وحيث إن الأمر كذلك فهو ﷺ أكمل الموجودات وأجملها وأفضلها

وأبهاها، وأنه أعظم مِنّة من الله على الوجود كله. ولقد قرر ذلك الحديث بقوله ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة »(١). وكفى دليلاً على ذلك أنه ﷺ سبب ظهور هذه الموجودات وبساطها وعرشها ومرآة ظهورها كآثار من آثار تجلي الأسماء والصفات الإلهية وما ذلك إلا لأنها منه ظهرت على اختلاف أنواعها وأشكالها وهذا هو سر خصوصيته ﷺ وانفراده بالمرتبة الأولى في الوجود الحادث. وإذا كان إبراز هذه المكانة المحمدية تكر يماً له ﷺ فإنها تعتبر ـ أيضاً ـ تعريفاً للمؤمنين بفضل الله العظيم على نبيه الكريم ﷺ ولقد أشار إلى ذلك رب العزة وقرره في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٢) . إن المتأمل شيئاً ما يجد أن الله تعالى لم يخص نبياً من الأنبياء قبله ﷺ بهذه الخصوصية ولا طلب ممن آمن بأحد من السادة الرسل قبله بهذا الأمر، وفي هذا إشارة صريحة إلى أن هذا النبي الذي يحتفى به في الملأ الأعلى عند الله والملائكة وفي الأرض على ألسنة أحبابه من المؤمنين، صاحب مقام رفيع أوحد وخصوصية فريدة جعلت الوجود كله يصلي عليه ويحتفي به في وصلة دائمة باقية ببقاء المصلين عليه، وإذا كان هذا شأن النبي ﷺ فلا عجب أن نسمع الله تعالى يعلن عن حقيقة نبيه ﷺ للملأ الأعلى وللسادة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام قبله، ولذا نسمعه ﷺ يشير إلى حقيقته في الوجود بقوله : « الأنبياء من الرحمة، وأنا الرحمة » (٣). وبقوله : « إنما أنا رحمة مهداة ». رواه الحاكم

وفي هذه إشارة إلى أنه ﷺ أول مظهر للتجلي الصفائي للحق تبارك وتعالى باسمه الرحمن فكان منه بروز آثار الأسماء والصفات الإإهية، والتي تشملها

(١) رواه الحاكم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) ذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء

صفته « الرحمن » حتى الأضداد منها كالحي والميت إذ أن هذه الصفة هي أول ما وصف الله به نفسه بعد اسمه العلم على الذات العلية الله. ولقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(١) . أي تجلى عليه فظهر أثر هذا التجلي رحمة فكان ﷺ هو هذه الرحمة الشاملة في مظهر من مظاهر حقيقته النورانية الأولى التي قررها ﷺ في أكثر من حديث منها قوله ﷺ : « أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري »(٢) . ولقد فسرها بقوله ﷺ : « أول ما خلق الله نوري » (٣) . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٤) . وإلا فما السر في جعل هذه الرحمة خاصة لمن يتبعه ﷺ .

ونختتم هذا العطاء القدسي في ثوب هذه الأحاديث القدسية التي أشارت إلى الحقيقة النورانية المحمدية، مقررة أنها سر الوجود وأصل كل موجود ممهدين لما بعدها من أحاديث نبوية بما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب : أسألك بحق محمد إلا غفرت لي. فقال الله تعالى : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب : إنك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك » (٥) . وفي رواية : « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

---

(١) سورة طه : ٥

(٢) ذكره صاحب كتاب محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) سورة الأعراف : ١٥٦

(٥) أخرجه البيهقي بإسناد صحيح .

ففي هذا الحديث أسرار بقدر ما فيه من العبارات التي تشير كلها إلى حقيقة واحدة، وهي أن حقيقته ﷺ هي أساس الوجود والسبب في كل موجود، أفاد ذلك أنه ﷺ أحب الخلق إلى الله وأنه الحق المخلوق، وأن له عند الله حقاً وهو حقيقته التي لما سأل بها آدم عليه السلام المغفرة غفر له وهي التي لولاها ما خلق آدم، ولا خُلقت العوالم كلها. ويؤكد هذا الحديث ما رواه الحاكم عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: « لما خلق الله العرش كتب عليه بالنور لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما خرج آدم من الجنة رأى على ساق العرش اسم محمد مقروناً باسم الله تعالى فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد. يا آدم ولو استشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك ».

ثانياً ـ الأحاديث النبوية الكاشفة عن الحقيقة النورانية المحمدية :

وبعد.. فإذا كانت الأحاديث القدسية سابقة الذكر قد أشارت إلى الحقيقة النورانية المحمدية من خلال بيان أنه ﷺ السبب في إيجاد الموجودات كلها علوية وسفلية، فقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تصرح بهذه الحقيقة النورانية المحمدية التي افتتح الله بها الوجود، بأن لها الأولية في الخلق والإيجاد، وإن كان لصاحبها ﷺ الآخرية في البعث، في ديوان النبوة والرسالات. وفي ذلك دلالة على كماله ﷺ خلقاً وخُلقاً، حقيقة وحقاً، وأن سره سار في الموجودات كلها من بدايتها إلى نهايتها. فهو الذي حاز الأولية والآخرية من بين سائر الحوادث والمخلوقات. ففي الحديث عن قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث » (١) .. وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: « كنت أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً » وروى بلفظ: « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ». يشهد

---

(١) رواه ابن سعد مرسلاً وقال حديث صحيح.

لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾(١). حيث بدأ به ﷺ في ذكر من أخذ منهم العهد تفصيلاً وفي هذا إشارة إلى أسبقيته عليهم في الخلق، نلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾(٢) . وإلا فما السر في أخذ الله تعالى العهد على السادة الرسل عليهم السلام بأن يؤمنوا به ﷺ وأن ينصروه وأن يقروا على ذلك ويشهدوا. كما يشهد لصحة هذه الأحاديث ما رواه الحاكم أنه ﷺ قال: « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد ». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد (٣) . وفي رواية: « كنت نبياً وآدم مجندل في طينته ». وفي أخرى: « كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين ». ولا غرابة في ذلك فلقد روي أنه ﷺ قال: « إن الله تعالى لما خلق آدم قال: يا رب لم كنيتني أبا محمد؟ قال: ارفع رأسك، فرفعه فرأى نور محمد في سرادقات العرش فقال: يا رب ما هذا النور؟ قال: هذا نور محمد نبيي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد ولولاه ما خلقتك ». وعن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف سنة » رواه الإمام أحمد وابن مرزوق وابن القطان. ويؤكد ذلك الحديث ما رواه الواسطي في كتابه المناقب عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: « سمعت حبيبي محمداً ﷺ يقول: كنت نوراً بين يدي ربي عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه » .

---

(١) سورة الأحزاب: ٧

(٢) سورة ال عمران: ٨١

(٣) رواه الترمذي في صحيحه .

ففي كل هذه الأحاديث إشارة إلى أسبقية وجود حقيقته النورانية ﷺ على سائر الموجودات، وفي قمتها الصفوة السادة الرسل عليهم السلام، وهذا هو السر في شيوع ذكره ﷺ في الملأ الأعلى حتى صار معروفاً لهم. يوضح ذلك ويقرره ـ بالإضافة إلى ما ذكر ـ ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لما عُرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله وأبو بكر من خلفي) (١)

ويقرر ذلك أيضاً ما رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار أن آدم عليه السلام رآه أي اسم رسول الله مكتوباً على ساق العرش وفي السموات وعلى كل قصر وغرفة ». وروى أبو نعيم في الحلية أنه ﷺ قال: يا علي مكتوب في العرش أنا الله محمد رسولي ». وهذا هو السر الذي جعله ﷺ يقرر ويعترف في تواضع جم ويقول فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما من حديث طويل: « وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » (٢). وعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « وأنا أكرم ولد دم على ربي » (٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أنا سيد الناس يوم القيامة » (٤). ولهذا كله حُق له ﷺ أن يقول: « والله ما عرفني غير ربي » (٥)

هذه الحقيقة التي صرح بها ﷺ في أكثر من حديث منها ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله تعالى أول كل شيء نوري فسجد له فبقي في سجوده سبعمائة عام فأول شيء سجد لله نوري ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق

---

(١) رواه أبو يعلى والطبراني وأخرجه البزار من حديث ابن عمر وقال السيوطي حيث حسن .

(٢) رواه الترمذي والدارمي .

(٣) رواه الترمذي والدارمي .

(٤) رواه الشيخان .

(٥) ذكر النبهاني بسنده .

الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري والشمس والقمر من نوري » (١)

في هذا الحديث أراد ﷺ أن يعلمه حقيقته التي سبقت كل الحقائق ومكانته التي لا تدانيها مكانة فليس هو ذلك البشري الذي اختص بالوحي من بينهم فقط وإنما هو في حقيقة أمره نور سبق كل الأنوار فحاز الأولية في الإيجاد والعبادة وفي قمتها السجود والقرب من الرب المعبود ما شاء الله له ذلك، ثم لما خلقه جعله سبباً أول لسائر الموجودات العلوية والسفلية فالكل قبسة من قبسات نوره ﷺ ظهرت في مظهر من المظاهر التي أرادها الله وقدرها في سابق علمه بدون أن ينتقص من ذلك النور الأول شيء نستطيع أن ندرك هذا فيما نحياه في عالم الخلق المشار إليه في قوله تعالى : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّت وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ ﴾ (٢). وفي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَة مِنْ مَاء مَهِين﴾(٣). وفي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ (٤)

انظر إلى كيفية الإيجاد للأشياء بعضها من بعض وليس ثمة اقتطاع من الأصل أو انتقاص له. ولذا قال تعالى:﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٥) . فلا عجب إذن أن يكون الأصل الأول لسائر الموجودات هو النور المحمدي. فمثلاً في بني البشر بدأ آدم عليه السلام كمظهر واستمر وجوده في نسله من بعده، والكل يحمل الصفات العامة لأبيهم الأول ـ آدم ـ مع ظهور الفوارق التي لا يجتمع فيها اثنان من بني جنسه، كل هذه الذرية الآدمية والأصل

(١) ذكره صاحب كتاب المواهب اللدنة .

(٢) سورة الروم : ١٩

(٣) سورة السجدة : ٨

(٤) سورة المؤمنون : ١٤

(٥) سورة المؤمنون : ١٤

هو الأصل لم يحدث فيه أي تغيير فتبارك الله أحسن الخالقين الذي جعل لكل شيء أصلاً وجعل الأصل الأول الذي هو أصل الأصول له ـ لأنه بداية البدايات ـ هو نور النبي سيدنا محمد ﷺ.

وإذا كان الرسول ﷺ أعلن عن حقيقة ذاته النورانية لسيدنا عمر في اختصار وإيجاز وعجالة لها حكمتها وسرها فنجده ﷺ يعلن عن حقيقة النورانية لسيدنا جبريل عليه السلام في إشارة سريعة لطيفة فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ سأل جبريل عليه السلام كم عمرت من السنين؟ قال : والله لا أدري غير أن كوكباً في الحجاب الرابع يظهر كل سبعين ألف سنة مرة فرأيته اثنين وسبعين ألف مرة. فقال النبي ﷺ يا جبريل وعزة ربي أنا ذلك الكوكب (١) . ونراه ﷺ يلمح إلى هذه الحقيقة النورانية في لمحة خفية بقوله : أنا من الله والمؤمنون مني. يريد أن يذكر بأوليته النورانية في قوله من الله أي أنا النور الأول والمظهر الأول لصفة النور القديم ولا عجب أن يكون ـ تأسيساً على ذلك ـ المؤمنون مني أي من أثر نوري ليظهر سر قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾(٢) . ولقد صرح بهذا الإيضاح بقوله ﷺ : « أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري » . ذكره القاضي عياض في الشفاء.

ولقد بين ذلك ﷺ فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ قال : « المؤمن ينظر بنور الله الذي خلق منه (٣) . أي يرى بنور الله الذي يسري فيه والذي هو سبب وجوده.

ولله در القائل : « اللهم صل على سيدنا محمد النور الذاتي والسر الساري ، في سائر الأسماء والصفات » وفي هذا بيان لما أشار إليه ﷺ من حقيقة المؤمن في

---

(١) ذكره صاحب مجموعة التحفات الربانية . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة الأحزاب : ٦

(٣) رواه الديلمي .

قوله : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله (١) . وإذا كانت هذه الحقيقة قد استترت عن كثيرين في الدنيا فإنها ستكون عياناً بياناً يوم القيامة يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ . وقوله تعالى : ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٣) . ولقد أورد أن النار تقول يوم القيامة جز يا مؤمن أطفأ نورك لهبي (٤)

ولا أدل على أنه ما من شيء مادياً كان أو معنوياً إلا وأصله نور من نوره ﷺ من قوله ﷺ يقول الله تعالى: « الشيب نور والنار خلقي » (٥) . وقوله : « لكل شيء نور ونور القرآن قل هو الله أحد » . وقوله : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » (٦) . وقوله في الحديث الطويل الذي رواه عن معاذ رضي الله عنه : .... والصلاة نور... » كما نجده ﷺ يلمح إلى حقيقة ذاته النورانية في قوله ﷺ : أول ما خلق الله روحي » . يريد بذلك أن حقيقته أصل كل العوالم فإذا نظرت إلى عالم الأرواح كانت حقيقته ﷺ روح الأرواح أي أصل وجودها. ولذا نجده ﷺ يشير إلى ذلك بقوله : « أنا أبو الأرواح وآدم أبو البشر » . وإذا ما أدركنا أنه لا حياة للبشر إلا بالروح، ندرك أن حقيقته ﷺ السر الساري في الوجود وإنه لا حياة لشيء إلا به، لأنه الروح الأعظم كما أشار إليه قوله : « أنا أبو الأرواح » . ومن ذلك نلمح الحقيقة التي أضحت ظاهرة كالشمس وهي أن نوره ﷺ أصل الأشياء كلها

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) سورة الحديد : ١٣

(٣) سورة الحديد : ١٨

(٤) رواه الترمذي .

(٥) مسند الفردوس .

(٦) رواه الحاكم .

على اختلاف مظاهرها وعوالمها ولذا فلا غرابة أن نسمعه ﷺ يقول : « أول ما خلق الله العقل (١) . إذ حقيقته ﷺ هي العقل الأول، وفي ذلك إشارة إلى أنه ﷺ أول من عقل عن الله ونهيه وهذا يؤكد قوله : « أول ما سجد لله نوري » (٢) . وهل يسجد إلا صاحب عقل (٣)

ولقد جاء في الحديث السابق عن العقل : « ثم قال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقال : بك آخذ وبك ادع بك أثيب وبك أعاقب » .

ومن المقرر أن العقل في رؤوس البشر مناطة التكليف وبسببه قد يثاب صاحبه وقد يعاقب. وهذا ما يلمح إليه حديث « أول ما خلق الله العقل » إذ لولا إيجاد حقيقته ﷺ ما أوجد الله الجنة ـ للثواب ـ والنار ـ للعقاب ـ وهذا يؤكد ما قررته الأحاديث القدسية سابقة الذكر والتي أشارت إلى أنه لولا حقيقته ﷺ ما خلقت الجنة ولا خلقت النار. ولا غرابة أيضاً أن نسمعه ﷺ يقول:« أول ما خلق الله القلم (٤) . فما القلم إلا مظهر من مظاهر حقيقته النورانية ﷺ ليتم من خلاله إظهار الموجودات التي أراد الله وجودها فمن هذه الحيثية صار القلم المشار إليه في الحديث أول ما خلق الله لا أولية مطلقة لأن كل الأوليات بالنسبة للنور الأول المحمدي ما هي إلا مظاهر ومرآيا له فصار لها بهذه النسبة أولية مقيدة ومن هذا نستطيع أن نفهم الحديث الذي رواه ميسرة الفخر رضي الله عنه جامعاً لأوليات كثيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « أول ما خلق الله روحي، وأول ما خلق الله نوري، وأول ما خلق الله العقل، وأول ما خلق الله القلم، وأول ما خلق الله نور نبيك » (٥)

---

(١١) رواه صاحب فيض الوهاب .

(١٢) رواه القاضي عياض في الشفاء .

(١٣) هذا بخلاف ما ذهب اليه الفلاسفة في مفهوم العقل .

(١٤) رواه مسلم .

(١٥) ذكره كتاب جمع الفوائد .

النبي ﷺ عندما يقسم يقول (والذي نفسي بيده) وما في يده سبحانه وتعالى هو القلم .

كما أن في ذلك إشارة إلى أنه ما من عالم إلا والحقيقة النورانية المحمدية أصله، فعبر عن ذلك بذكر أوليته في مظاهر متعددة، فهو الأول من حيث حقيقته في كل المظاهر، ولذا نسمعه ﷺ يقول : « أول ما خلق الله درة بيضاء » (١) . إشارة إلى نوره الذي صرح به في قوله ﷺ : « أول ما خلق الله نوري » . وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم ما رواه الحاكم والإمام أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يا رسول الله أخبرني عن أصل كل شيء. فقال : كل شيء خلق من الماء. فهذا الحديث يبين أصل الماء بالنسبة لكل شيء مادي وإنما كان ذلك لأن الماء من عالم الماديات أما العوالم الأخرى كالملائكة مثلاً فليس الماء أساس خلقتها لأنها ليست من قبيل العالم المادي .

ويؤكد هذا ـ أيضاً ـ قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ (٢) ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾(٣) . حيث أوضحت ﷺ لاستمرت الموجودات في ظلمة العدم، ولما ظهرت إلى حيز الوجود. فقد ورد أنه ﷺ قال : « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل » (٤) . ففي هذا الحديث أسرار كثيرة نستجلي بعضها. فمما يشير إليه هذا الحديث هو أن الموجودات كانت مخبوءة في أصلها الأول وهو النور المحمدي، فهي قبل ظهورها كانت موجودة في ظلمة العدم ولما أراد الله لها الظهور تجلى عليها

(١) ذكره صاحب كتاب محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر .

(٢) سورة النور : ٤٥

(٣) سورة الأنبياء : ٣٠

(٤) ذكره صاحب النفحات الربانية .

وهي في أصلها الأول تجلياً رحمانياً باسمه النور القديم الذي به الظهور فمن سبقت له المشيئة بالظهور من عالم الخفاء أصابه من نور التجلي ما يناسبه فإذا به يهتدي أي ينتقل إلى عالم الظهور ـ كما هو مقدر له في سابق علم الله ـ بهداية الله الهادي النور المبين، ومن لم يرد الله له ذلك أخطأه النور فبقي في ظلمة العدم إلى حين ولذلك قيل في شأن الخلق والإيجاد : « أمور يبديها ولا يبتديها » .

فالموجودات في ظلمة العدم قبل ظهورها وإن كانت موجودة في سابق علم الله تعالى الذي لا يتخلف، وفي الحقيقة ما الخلق في عالم الظهور إلا آثار من آثار الأسماء والصفات الإلهية ظهرت من النور المحمدي الأول المشار إليه بمظهر التجليات الإحسانية والمعبر عنه بأول التعينات المفاضة من حضرة العماد الربانية سر خلعة الأسماء والصفات الإلهية، فمن أراد الله له الظهور من عالم العلم القديم المكنون ظهر، ومن لم يرد له ذلك ظل في خفائه ومكنون علمه تعالى إلى أن يأتي موعد ظهوره قال تعالى : ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

وهذا يؤكد ما قلناه ـ سابقاً ـ من أن الإيجاد إيجادان : إيجاد في ظلمة البطون بالإرادة والعلم المكنون، وإيجاد في نور الظهور من عالم البطون بتجلي الرحمن باسم النور ليتم الظهور.

وقد يُفهم الحديث على أن الموجودات في أول وجودها كانت في ظلمة الكفر وعدم معرفة خالقها جل شأنه فمن أراد الله له المعرفة والإ يمان به أصابه من نور العرفان فاهتدى للإ يمان بخالقه وكان ممن قال تعالى فيهم : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ × أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٢) . أما من لا نصيب

(١) سورة يوسف .

(٢) سورة الأعراف .

له في الإ يمان والمعرفة حينئذ ضل وبقي على عماه وكفره حتى حين. ولعل هذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾(١) . وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾(٢) . ومعنى هذا أن الله خلق الخلق في ظلمة الجهل به المؤدية إلى الكفر فلا يستطيعون الاهتداء إلى معرفته والإ يمان به إلا بنوره ، فاقتضت حكمته أن يعرفه فريق فيؤمن ويظل فريق على جهله وكفره وعماه حتى حين. وأياً كان الأمر ففي الحديث سره الذي لا يخفى على لبيب فعندما يسمع النور في قضية الخلق والإيجاد ، يدرك ويتذكر ما قررته الأحاديث سابقة الذكر من أن النور المحمدي هو الحقيقة الأولى التي ظهرت منها كل الحقائق والشجرة المباركة الزيتونة التي لا هي شرقية ولا غربية والتي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، تلكم الشجرة التي انبثقت فروعها فملأت الوجود ، تلكم الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء والتي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها حتى تتم الخليقة كما في سابق علم الله .

ولقد بين لنا رسول الله ﷺ شجرة الوجود هذه في حديث جامع ، تعددت رواياته فاختلفت عبارته فجاء بين مختصر ، وبين مسهب مفصل ، ولقد عثرت على أربع روايات لهذا الحديث كلها ذات مضمون واحد وإن تفاوتت ألفاظها ، ولعل مرجع هذا لتعدد الرواة أو لعل الحديث ذكر أكثر من مرة ولعل السبب ما ذكره صاحب كتاب جمع الفوائد قال : وقد رفعه الناس إلى أشجار شتى .

إنه حديث سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري ـ الذي رواه البيهقي والإمام

(١) سورة التغابن : ٢

(٢) سورة النحل : ٧٨

أحمد والترمذي والإمام عبد الرزاق قال رضي الله عنه : « سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى، فقال:هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق فيه كل خير وخلق بعده كل شيء » (١) وحين خلقه أقامه قدامه (٢) . في مقام القرب اثنتي عشرة ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام : فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم (٣) . وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة والنار (٤) . من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحق (٥) .

الآيتان أن الماء أصل للأحياء من الماديات، وعلى ذلك فأولية الماء معناها أسبقيته في عالم الماديات.

ومن هذا نستطيع أن نفهم قوله ﷺ : « أول ما خلق الله الماء » (٦) . وأن أولية الماء ليست أولية مطلقة وإنما هي أولية نسبية، أي بالنسبة لغيره من الماديات لا غير. وأن هذه الأولية لا تمنع أولية غيره.

إن هذا الحديث ـ علاوة على ذلك ـ دليل على أن للدين الإسلامي سبقاً في المجال العلمي، كما أنه دليل على صدقه في معطياته حيث أنه أشار إلى ما توصل إليه العلم الحديث من أول ما ظهر من الماديات مكونات الماء من

(١) وفي رواية (خلق منه كل خير وخلق بعده كل شر ، وفي أخرى خلق منه كل خير وفي الثالثة خلق فيه كل خير ثم خلق بعده كل شيء) .

(٢) وفي رواية (وحين خلقه الله أقامه في مقام القرب) وفي أخرى (أقامه مقام القرب) .

(٣) وفي رواية (وحملة العرش من قسم) .

(٤) وفي رواية (والجنة من قسم) .

(٥) وفي رواية (في مقام الخوف) .

(٦) رواه البخاري .

أوكسجين وأيدروجين، وإلى ذلك جاءت الإشارة في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾(١٤) . ففي قوله ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ إشارة إلى الحالة الغازية السابقة على ظهور الماديات وفي مقدمتها الماء.

ولقد ذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) قال : وحكى ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه قال : « أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً » وقد قيل إن الذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي ثم خلق بعد الكرسي العرش ثم خلق بعد ذلك الهواء والظلمة ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء. والله أعلم.

وبالتأمل فيما حكاه ابن جرير نجد إشارة إلى أسبقية المعاني ـ كالعرش ـ على الماديات ـ كالماء ـ وإذا تقرر ذلك فليس ثمة تعارض بين الحدثين السابقين وأمثالهما وبين الأحاديث التي تقرر أولية النور المحمدي وأصالته لسائر الموجودات. وهذا يؤكد ما نحن بصدد إثباته وهو أن أول ما ظهر من الموجودات هو النور المحمدي، ثم جاءت منه وبعده مراحل من الخلق والإيجاد للعوالم العلوية والسفلية والتي انتهت بظهور الماديات أو العالم المنظور الذي بدأ بظهور الماء مسبوقاً بمكوناته ومكونات مكوناته والمشار إليها بالذرة التي يسبقها النور الحسي ـ كما أثبت العلم الحديث ـ. وإذا كان الماء أول من جهة أنه الأصل القريب لعالم الماديات، ففيه إشارة إلى أن الحقيقة النورانية المحمدية ماء الوجود كله إذا ما علمنا أن الماء أصله النور كما أكدت تجارب العلوم الحديثة.

ومن الثابت المشاهد في عالم الماديات أنه لولا النور لما ظهرت الأشياء ولاستمرت في خفائها وظلمة الجهل بها وعدم معرفة أسرارها والاستفادة

---

(١٤) سورة فصلت : ١١

منها ولولا نور البصر لظل الإنسان في عماء وجهالة بالنسبة لحقيقة ما حوله ، ولولا نور العلم لعاش الإنسان في ظلمة الجهل بما خوله وما يحيا فيه ، ولولا نور الإسلام والإيمان لظل الإنسان جاهلاً بربه وبحقيقة وجوده ، ولولا نور حقيقته اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء (١) . فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب (٢) . من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلم والعلم (٣) . من جزء والعصمة والتوفيق (٤) . من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنتي عشرة ألف سنة ، ثم نظر الله عز وجل إليه فترشح (٥) . النور عرقاً ، فقطرت منه مائة ألف (٦) . وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي ورسول (٧) . ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء (٨) . والشهداء والسعداء (٩) . والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة ـ فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري (١٠) .

---

(١) وفي رواية (ثم جعله أربعة أقسام) .

(٢) وفي رواية (والكواكب من قسم) .

(٣) وفي رواية (والعلم والحلم) .

(٤) وفي رواية (والتوفيق من قسم) .

(٥) وفي رواية (ثم نظر إليه فرشح)

(٦) وفي رواية (مائة ألف قطرة) .

(٧) وفي رواية (أو رسول) .

(٨) وفي رواية (نور أرواح الأولياء) .

(٩) وفي رواية (والسعداء والشهداء) .

(١٠) وفي رواية (والعلم والحلم والتوفيق من نوري وأرواح الرسل والأنبياء من نوري) .

والشهداء (١١) . والصالحون من نتائج نوري. ثم خلق الله اثنتي عشر حجاباً ـ فأقام الله نوري وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية ـ وهي حجاب الكرامة في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية ـ وهي حجاب الكرامة والسعادة الإلهية (١٢) . والرحمة والرأفة والعلم والحلم (١٣) . والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين (١٤) . فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه (١٥) . الله في الأرض فكان يضيء منه (١٦) . ما كان (١٧) . بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله من الأرض آدم فركب (١٨) . فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث (١٩) . فكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر (٢٠) . إلى أن وصل (٢١) . إلى عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم (٢٢) . أمي آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين (٢٣) . هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر.

---

(١) وفي رواية (والشهداء والسعداء والصالحون) .

(٢) وفي رواية (الرؤية) .

(٣) وفي رواية (الحلم والعلم) .

(٤) وفي رواية (اليقين والصدق) .

(٥) وفي رواية (زكاة) .

(٦) وفي رواية (منها) .

(٧) وفي رواية (ما بين) .

(٨) وفي رواية (وركب) .

(٩) وفي رواية (ثم انتقل إلى شيث ولده) .

(١٠) وفي رواية (من طاهر إلى طاهر ومن طيب إلى طيب) .

(١١) وفي رواية (حتى نقله الله تعالى) .

(١٢) وفي رواية (إلى وجهة) .

(١٣) وفي رواية لا يوجد (وقائد الغر المحجلين) .

وهذه الرواية لاختلافها في الألفاظ مع غيرها أشرنا إلى ذلك في الهامش بل نقرر أنه توجد روايتان أخريان مختصرتان عن هذه الرواية.

إن هذا الحديث ـ برواياته المتعددة ـ يعد العمدة في إثبات الحقيقة النورانية المحمدية التي من أجلها كان هذا الكتاب، وإنما كان هذا الحديث كذلك لأنه هو الذي فصل ووضح قضية الإيجاد والخلق من بدايتها إلى نهايتها وإن كان ما عداه من أحاديث تتعاون معه في تقرير هذه الحقيقة وتأكيدها وخاصة أنها تقرب من ثلاثين حديثاً أو تزيد.

ولو تناولنا هذا الحديث بالبحث والتأمل نجد عظمة الخلق والإيجاد وبديع الصنع، وعظمة القدرة التي لا يعجزها شيء ولا يُعيبها خلق قدرة توجد ـ في طلاقة لا يحدها حد ـ جميع الموجودات على اختلاف أنواعها وما فيها من تضاد وما هي عليه من تباين توجدها من العدم وعلى غير مثال، وتبدؤها بنور ليكون المظهر الأول الذي شاء الله أن يفتتح به الوجود، وأن يجعله سبباً لكل موجود، ولا حرج على فضل الله أن يكون هذا النور الأول هو الحقيقة المحمدية كما أشار إلى ذلك هذا الحديث وغيره من الأحاديث سالفة الذكر علاوة على التلميحات والإشارات القرآنية التي سبق أن أوضحناها في صدر هذا الباب.

ومن خلال هذا النور الأول ظهرت طلاقة القدرة وعظمتها وسلطانها الواسع، فقد أوجد الله عز وجل كل مخلوقاته علوية وسفلية من هذا النور المحمدي في تسلسل عجيب والنور المحمدي كما هو من غير نقص ولا تغيير في كل المراحل والشؤون.

فلو تأملناه وهو في مقام القرب نجد أسرار هذا القرب قد ظهرت في إيجاد العرش والكرسي وحملة العرش وخزنة الكرسي آثاراً من آثار هذا التجلي، ولقد جعل الحديث هذه المخلوقات قسماً لعظمها وما عدا هذه

الأقسام الثلاثة جعلها قسماً رابعاً إشارة إلى ما سيظهر من هذا القسم من مخلوقات آثاراً لتجلي صفاتي آخر للحق جل شأنه على النور المحمدي الأول في مقام آخر. ففي مقام الحب ـ كما ذكر الحديث ـ يظهر من أجل نور الحبيب ﷺ القلم واللوح والجنة والنار لتكون إضافات وجودية جديدة لها علاقتها بالمخلوقات السابقة. وفي مقام الخوف تظهر مخلوقات أخرى لها من هذا المقام نصيب، فتظهر الملائكة والشمس والقمر والكواكب. وإذا ما حل النور المحمدي في مقام الرجاء كان قسماً آخر وظهر لأجله من أثر التجلي عليه في هذا المقام أعظم ما يرجى وهو العقل والحلم والعلم والعصمة والتوفيق. وانظره ﷺ ونوره في مقام الحياء، تجد مقتضى هذا المقام يخالف مقتضيات المقامات السابقة، وكأنها وجدت لأجل مقتضى هذا المقام، ولهذا ظهر من أثر التجلي على النور المحمدي في هذا المقام أرواح السادة الأنبياء والمرسلين ثم أرواح النخبة المؤمنة من الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين.

ولما كان هذا النور المحمدي هو المقصود بالظهور في كل المظاهر التي ظهرت من أجله في حضرات شهوده، شاءت إرادة الله لهذا النور أن يظهر في ختام الخلق وأكرمهم فركب هذا النور في الأرض ثم خلق آدم منها فانتقل إليه النور ثم أخذ ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر حتى إذا ما حان موعد ظهوره ليكون مسك الختام انتقل إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب إلى أمه آمنة ليخرج إلى العالم الظاهر ليكون خاتم النبيين وسيد المرسلين وليكون به ختم الكمالات كما كانت به بدايتها.

يؤكد ذلك ويقرره ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة لتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه قال رسول الله ﷺ فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكر يمة إلى

الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط (١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لما خلق الله آدم أراه بنيه من الانبياء ، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض فرأى نوراً ساطعاً في أسفله ، فقال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك أحمد وهو أول وهو آخر ، وهو أول شافع » (٢)

ومما يجب لفت النظر إليه أن الله جعل المظهر الذي سيظهر نور نبيه ﷺ من خلاله إلى عالم الظهور ، وهو سيدنا آدم عليه السلام ، جعله على صورة ذات دلالة على هذا النور ، نلمح ذلك فيما رواه ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجائي » (٣) . وهذا يعني أنه ما من شيء إلا وفيه دلالة على أصله.

ولا أدل على صدق هذه الحقيقة النورانية المحمدية مما واكب ظهور هذا النور في العالم الأرضي من أحداث، فقد كان مجيء هذا النور إلى هذا العالم حدثاً ارتجت له الدنيا وبه سبقت الإشارات وظهرت الأمارات، فعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : « إن أمي رأت في المنام أن الذي في بطنها نور ، قالت فجعلت أتبع بصري النور فسبق بصري حتى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها » (٤) . كما أخبرت بقدومه الرسالات السابقة على مجيئه، قال تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام : ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(٥) . كما اختار الله لظهوره أطهر البقاع وهي مكة المكرمة، ولعلها البقعة المباركة التي رُكب فيها النور المحمدي كما جاء في احديث،

(١) قال النبهاني أخرجه ابن أبي عمرو المدني في مسنده .
(٢) أخرجه البيهقي وابن عساكر .
(٣) ذكره صاحب كتاب محاضرة الأوائل .
(٤) قال صاحب جمع الجوامع ورواه الديلمي .
(٥) سورة الصف : ٦

ولعل هذا هو السر في كونها أول بقعة ظهرت من الأرض يشير إلى ذلك تسميتها بأم القرى ولعل هذا أيضاً هو السر في كونها مركز الأرض كما أثبت ذلك العلم الحديث أخيراً وفي كل هذا إشارة إلى أن هذا النور هو أول موجود ليكون أماً وأصلاً لسائر الكائنات كما أنه إشارة إلى أنه مركز دائرة الوجود كله، وقطب رحى الكونين.

ولقد حكى أن كعب الأحبار قال : لما أراد الله تعالى أن يخلق جسد سيدنا محمد ﷺ جاء سيدنا جبريل عليه السلام بقبضة بيضاء من نور الأرض، من موضع قبره، وكانت تلك القبضة في موضع الكعبة، فغسلت في أنهار الجنة وعجنت بماء الرحمة وطيف بها عوالم الملكوت حتى عرفت الملائكة اسمه ونعته قبل اسم آدم بألف عام ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» (١). وهذا يعني أن تراب بشريته النورانية b هو أول ما أخذ من الأرض عند جمع تراب الخليقة الترابية والتي بدأت بظهور أبي البشر سيدنا آدم عليه السلام.

وإن مما نستشفه أيضاً من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه سالف الذكر هو الإشارة إلى حقيقة الظهور للأشياء في عالم الغيب، وأنها أمور يبديها خالقها ولا يبتدؤها. نلحظ ذلك في قوله ﷺ : « فكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن وصل إلى عبد الله بن عبد المطلب »

حيث أفاد أن بني البشر كانوا موجودين في أبيهم آدم، ومن حان ظهوره ظهر ومن لم يحن ظهوره بقي لينتقل في السابقين عليه إلى حين، وذلك حتى تنتهي الخليقة كما في سابق علم الله وإيجاده الأول، فمن لا وجود له في بداية الخلق لا وجود له في عالم الظهور، ومن هذا يظهر سر قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾(٢) . ومما يؤكد ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال : « كنت أنا

(١) ذكره صاحب كتاب محاضرة الأوائل .

(٢) سورة الشورى .

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنواراً على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام » (١) .

ولو تأملنا توالد الكائنات من نبات وحيوان وإنسان نجده ظهوراً للذرية بدون نقصان من الأصل وهذا شاهد محس على حقيقة الوجود ودليل على أن النور المحمدي أصل لكل موجود دون نقصان أو تغيير.

ومن هذا نستطيع أن نفهم ما جاء في الحديث من قوله ﷺ : « ثم جعله أربعة أقسام.. » وأن هذا التقسيم ما هو إلا إشارة إلى تنوعات الخلق وما هو إلا مراحل في الإيجاد وبيان للسابق واللاحق في الظهور لآثار التجليات الإلهية من خلال الجوهرة اليتيمة التي دارت عليها أصناف المكونات والنور الذي ملأ إشراقه الأرضين والسموات ﷺ.

وفي هذا الحديث أيضاً نستطيع أن نلمح أن الإيجاد في البداية للنور الأول كان من العدم ثم بعد ظهوره قام الوجود عليه في مظاهره المتعددة من عرش ولوح وقلم وغير ذلك لتظهر من خلالها حكمة الخلق والإيجاد لما هو في سابق علم الله والتي أشار إليها قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) . وقررها الحديث القدسي بقوله : « كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني » (٣) . ومما يقرر ما جاء في هذا الحديث ويوضحه ويضيف إليه من أسرار ما روي عن الإمام علي كرم الله وجهه قال : قلت يا رسول الله : مم خلقت؟ قال : لما أوحى إلي ربي ما أوحى قلت يا رب مم خلقتني؟ قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضاً ولا سماء. قلت يا رب مم خلقتني؟ قال : يا محمد نظرت إلى صفاء بياض نوري الذي خلقته

---

(٨) ذكره صاحب كتاب نزهة المجالس .

(٩) سورة الذاريات : ٥٦

(١٠) ذكره صاحب كتاب فيض الوهاب .

بقدرتي وأبدعته بحكمتي وأضفته تشريفاً إلى عظمتي، فاستخرجت منه جزءاً فقسمته ثلاثة أقسام فخلقتك وأهل بيتك من القسم الأول، وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثاني، وخلقت من أحبك من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة رددت النور إلى نوري، وأدخلتك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك ومن أحبك جنتي برحمتي، فأخبرهم بذلك عني. (١)

لو تأملنا هذا الحديث نرى عجباً فهذا الإمام علي يسأل رسول الله ﷺ سؤالاً غريباً، لأنه يعلم مسبقاً أصل خلقة البشر فلماذا يسأل إذن هذا السؤال يا رسول الله مم خلقت؟ إن المتأمل يدرك أن هذا السؤال له سبب ووراءه سر وهذا السر يكمن في عظيم شمائله وكماله خلقاً وخلقاً، وما اختص به ﷺ من بين بني جنسه من أمور تدعو إلى الدهشة ويتطرق إلى العقل بسببها أن هذا الرسول ـ والحال هكذا ـ وراءه سر أراد أن يقف عليه الإمام علي كرم الله وجهه بتوجيه هذا السؤال فيكشف له رسول الله ﷺ عن حقيقته وأنه في مبتدأه نور وفي منتهاه نور وأن حقيقة الوجود كله نور من نوره وإن كانت كل الموجودات قد تفاوتت في هذه النورانية قرباً منها وبعداً ومما يجب لفت النظر إليه هو أن هذا الذي حدث به رسول الله ﷺ ليس من عند نفسه وإنما هو وحي أمره ربه أن يخبر به أصحابه حيث قال: فأخبرهم بذلك عني. ولذلك لما استقر ذلك عند الإمام علي كرم الله وجهه نستمع إليه مرة أخرى وهو يتناول هذه الحقيقة بالإيضاح فيقول: لما أراد الله تقدير الخليقة وذرى البرية قبل دحو الأرض ورفع السماء وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته، لمع نور من نوره، ثم اجتمع ذلك النور في تلك الصورة الخفية فوافق صورة محمد ﷺ. فقال الله تعالى أنت المختار المنتخب عندك مستودع نوري، وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، ثم أخفى الله الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه،

---

(١) رواه الترمذي.

ثم نصب العوالم، أي السماء والأرض والجبال والمياه والهواء والنار وبسط الزمان وقرن بتوحيده نور محمد ﷺ (١)

من هذا البيان البالغ لإمامنا على كرم الله وجهه نستطيع أن نفهم الحديث السابق وما التقسيم الوارد فيه إلا إشارة إلى أسبقية النور المحمدي على غيره من الأنوار، وأن المراد بنظر الحق تعالى إلى النور هو التجلي، وأن الصفاء والبياض الذي وصف به النور ما هو إلا إشارة إلى وجوده قبل أي وجود وهذا كله وضحه الإمام بقوله لمع نور من نوره.

وما لمعان النور المحمدي إلا ظهوره من العدم بنور القدم ليكون مرآةً وبساطاً وعرشاً ونوراً لظهور الموجودات وليكون محل النظر وسعة الرحمة للتجلي والاستواء الرحمني، وليكون الأثر الأول التي تتلوه كل الآثار والروح الأولى لكل الأرواح، وما قوله رضي الله عنه « ثم اجتمع ذلك النور » إلا لبيان مرحلة التصوير التي تلي مرحلة الخلق، وهذه المرحلة هي التي عناها الحديث القدسي السابق عند قوله: « فاستخرجت منه.. » أي صورت هذا النور فوافق التصوير صورة سيدنا محمد ﷺ ثم ظهرت منه كل الأنوار وفي مقدمتها أنوار أهل بيته وأزواجه وأصحابه وأحبابه رضي الله عنهم.

ولقد ورد تعبير آخر عن خلق نوره ﷺ ولمعانه واجتماعه واستخراجه، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: « قبض الله قبضة من نوره وقال لها كوني محمداً فكانت » (٢). فما عناه قوله « اجتمع » وقوله « استخرجت منه » هو ما عناه قوله « قبض » وهي مرحلة التصوير للنور الأول المخلوق ليكون الحقيقة المحمدية والتي حققها بقوله « وقال لها كوني محمداً فكانت ». فما القبضة النورانية المحمدية إلا النور الذي لمع ثم اجتمع وما هي إلا النور الذي نظر الله إليه

---

(١) من كتاب نزهة المجالس.
(٢) رواه البيهقي باسنده في كتاب الأعمال.

وخلقه بقدرته وأبدعه بحكمته وأضافه تشريفاً لعظمته حينما قال عنه « نوري » ثم نادى هذا النور البديع المشرف، وهو الذي لما أحاطه وشمله برحمته سماه قبضه، هذا النور وهو بهذا الاسم ناداه بقوله « كوني محمداً فكانت » أي صارت هذه القبضة النورانية خلقاً آخر وهو الصورة النورانية المحمدية ثم توالت النداءات الربانية لكل المخلوقات المرادة لله، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١)

وعلى ذلك فيكون أول من توجه إليه قوله كن هو النور الأول المخلوق فصار الصورة النورانية المحمدية، والمعبر عنها بالجزء الأول أو القسم المكرر في كل الأقسام والمظاهر تأكيداً على أنه أصل الوجود والسبب في كل موجود.

إن هذه التعبيرات الواردة في الأحاديث السابقة بشأن خلق وإيجاد النور المحمدي الأول، وما تبعه من أنوار، لا يجوز أن تفهم على استعمالاتها المادية، لأن هذا لا يتناسب مع جلال وعظمة القدرة، وسائر صفاته وأسمائه (جل شأنه)، وإنما يجب أن تفهم بما يتناسب مع التقديس والتنزيه لله ولأسمائه ولصفاته. ونستطيع أن ندرك أن هذه العبارات تعني غير ما يتبادر إلى الذهن من الاستعمالات المادية، إذا ما نظرنا إلى آثار القدرة فيما حولنا من خلق، فهذه النباتات والحيوانات تتوالد وينشأ من الأصل فرع وكذا الإنسان تخرج منه ذرية فتظهر مخلوقات من مخلوقات ولا نشهد نقصاناً ولا تجزيئاً كالذي يحدث للأشياء عندما نجزؤها لأن فعلنا لا يسمى خلقاً ولا إيجاداً. ولك أن تلمح عظمة الخلق وسر القدرة في قوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾(٢) . فإذا صدقت هذه، فلماذا لا تصدق أن النور الأول هو الحقيقة المحمدية وهذه الحقيقة هي أصل الموجودات كلها. وعلى هذا الأساس يجب أن نفهم العبارات الواردة في شأن الخلق والإيجاد الواردة

---

(٣) سورة النحل : ٤٠

(٤) سورة مريم : ١٧

في هذه الأحاديث، كما أنه ليس هناك ـ بعد ذلك ـ مجال للعقل في أن يستعظم مثل قوله ﷺ : « قبض الله قبضة من نوره وقال لها كوني محمداً فكانت » . والذي أفاد مع غيره من الأحاديث أن هذا البشري (محمد) ﷺ ما هو في حقيقته إلا نور عظمة ربه وكرمه وشرفه بالإضافة إليه، وأن هذا النور الأول هو حقيقة الحقائق كلها، ونور الأنوار بأسرها، وأن كافة ما خلق الله أساسه نور تفرع عن النور الأول. ثم ما من شيء إلا وتوجه له الأمر بكن فظهرت المظاهر كلها التي ندركها والتي لا ندركها من العوالم العليا التي قررتها الأحاديث السابقة والتي يشملها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾(١) . ونستطيع أن ندرك ذلك ـ أيضاً ـ إذا ما نظرت إلى جسمك وعلمت أن مادته قبضة من تراب الأرض، ثم بعد ما نفخ فيه الروح وتوجه إليه الأمر كن فإذا هو خلق آخر فأين التراب منه الآن؟ وإذا ما علمت أنه كان حيواناً منوياً اتصل ببويضة فأين ذلك منه الآن؟ وأين كان هو من الحيوان المنوي قبل ذلك؟ أو أين كان هو من التراب أيضاً ـ قبل ذلك ؟ إنها القدرة في عظمتها وطلاقتها. إذا أدركت ذلك فلماذا تستبعد على القدرة أن تخلق نوراً أولاً ثم تقول له كن محمداً، وكن عرشاً وكن كرسياً وكن ملكاً وكن سماءً وكن أرضاً . . . الخ.

ما خلق الله وقدّر في سابق علمه ؟ بل كيف يسوغ لعقل ـ وهو في القرن الميلادي الحادي والعشرون ـ أن يستبعد هذا وقد أثبتت كشوفات العلوم الحديثة هذه الحقيقة حيث قررت في تجاربها أنه ما من شيء إلا وأساسه النور، على نحو ما أوضحناه في (الباب الثاني) فليرجع له.

أما أبناء القرن الأول الهجري الذين عايشوا صاحب هذه الحقيقة ﷺ عن قرب. فإن إ يمانهم وما شاهدوه من خصوصياته ﷺ قد أغناهم عن تلكم

---

(١) سورة البقرة : ٢٠

الكشوفات العلمية، ولذلك لم يتحرجوا من معرفة السر والحقيقة فسألوه ﷺ عن حقيقته كما سأله سيدنا جابر رضي الله عنه، وسيدنا علي كرم الله وجهه وقاموا بواجب التبليغ، وأدوا أمانة العلم كاملة. فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يروي لنا هذه الحقيقة مع جوانب من البيان وكشف الأسرار فيقول: «لما أراد الله تعالى خلق المخلوقات، وخفض الأرض ورفع السماوات، قبض قبضة من نوره، ثم قال لها كوني حبيبي محمداً فطاف نور محمد ﷺ العرش قبل آدم بخمسمائة عام، وهو يقول: الحمد لله فقال الله تعالى من أجل ذلك سميتك محمداً، ثم خلق نور آدم عليه السلام من نور محمد ﷺ، وخلق جسد محمد ﷺ من طينة آدم ثم أسكن نور محمد في ظهر آدم عليه السلام فصارت الملائكة تقف خلفه صفوفاً ينظرون إلى النور، فقال آدم يا رب ما لهؤلاء الملائكة يقفون خلفي قال: ينظرون إلى نور محمد ﷺ قال يا رب اجعله في مكان في جبهتي فنقل الله تعالى ذلك النور إلى جبهته، فصارت الملائكة تقف أمامه، ثم قال آدم: يا رب اجعله في موضع أراه، فجعله في أصبعه المسبحة فرفعها آدم وقال: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله قلت فهذا أصل التشهد لهذا سميت المسبحة، لأنه يشار بها إلى وحدانية الله تعالى، ولأن عرقها متصل بالقلب.

ثم قال آدم يا رب هل بقي من هذا النور شيء؟ قال: نور أصحابه قال: يا رب اجعله في بقية أصابعي فجعل الله نور أبي بكر في الوسطى، ونور عمر في البنصر، ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الإبهام. فلما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض انتقلت الأنوار إلى ظهره، كما كان أولاً في ظهره، فلما قدر الله الاجتماع بين آدم وحواء على عرفات أرسل إليه نهراً من الجنة فاغتسل وغشي حواء فانتقلت الأنوار إليها ثم لم يزل نور محمد ﷺ ينتقل من صلب إلى صلب ومن بطن إلى بطن إلى أن انتقل إلى صلب إبراهيم عليه السلام فأخرجه الله من أفضل المعادن، وأكرم المغارس، شجرة مشرقة الضياء أصلها

في الأرض ثابت وفرعها في السماء نابت، أصلها أصيل، وفرعها طويل، وغارسها الرب الجليل، وساقيها إسماعيل الخليل، وخادمها الأمين جبريل، وملقح ثمرها إسماعيل، ثم قصد تحول النعمة إلى شجرة المحبة، فاستخرج منها حبة، فأول ما غسلها في بحر الرحمة، خرجت بمنشور ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١) ثم غسلها في بحر الرضى فخرجت بخلعة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾(٢) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾(٣) ثم اختار لتلك المحبة أرضاً مقدسة لا مدنّسة، فأنبتت ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾(٤) أي لا يهودية ولا نصرانية، فهي شجرة النور أصلها نور وفروعها ﴿اللَّهُ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، فكان صلب الخليل ناديها وظهر إسماعيل شاطىء واديها، سقى بالخليل عودها، واخضر بإسماعيل عمودها وتم بمحمد ﷺ سؤددها، فلما قوي أصلها وشب فرعها وثبت، تشعبت شعوباً، وتضربت ضروباً، فالحق زهرتها والصدق ثمرتها واليقين أغصانها والهدى قنواتها معلقة بالعرش من تمسك بها سلم، ومن تأخر عنها ندم، ثم انتقل النور من صلب إلى صلب إلى عبد المطلب فرأى في منامه كأن سلسلة خرجت من ظهره حتى لحقت بعنان السماء، ثم رجعت فصارت شجرة خضراء ورأى شيخاً قد تعلق بها، فقال عبد المطلب من أنت ؟ قال : نوح، فأراد عبد المطلب أن يتعلق بها أو بغصن منها، فقيل له ليس لك فيها نصيب، فلما تزوج ولد له عبد العزى وهو أبو لهب ثم أبو طالب واسمه عبد مناف، ثم العباس، ثم عبد الله ثم حمزة فهو عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، فعلمت أحبار الشام بعبد الله، لأن في كتبهم إذا قطرت جبة يحيى عليه السلام فقد ولد والد النبي ﷺ

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٢) سورة الضحى : ٥

(٣) سورة النجم : ٩

(٤) سورة النور : ٣٥ .

فلما كبر عبد الله، قصدوا قتله، فأرسل الله تعالى ملائكته فقتلتهم عن آخرهم، وكان وهب والد آمنة ينظر على رأس جبل إلى هذه الكرامة لعبد الله فأخبر زوجته برة بنت عبد العزى أم آمنة بذلك وقال هل لك أن تزوجي عبد الله بآمنة ؟ قالت نعم، فتوجه وهب وبرة إلى عبد المطلب واسمه شيبة الحمد فخطبا منه عبد الله لآمنة، لما رأى وهب من كرامة والد النبي ﷺ فزوجه بها في رجب ليلة الجمعة فانتقل النور إليها » (١)

إن المتأمل في ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما يدرك جيداً مدى تفهم الصحابة لهذه الحقيقة، ومدى إ يمانهم العميق بها، ولذلك نقلوها بأمانة في صورة الأحاديث التي أوردناها متكاتفة في إثبات هذه الحقيقة النورانية المحمدية، والتي ببيانها وإثباتها، يظهر لنا سر قوله ﷺ : « كنت أول الناس خلقاً وآخرهم بعثاً »، وسر قوله ﷺ: « أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً » وسر قوله ﷺ : « أنا عبد الله وخاتم النبيين » (٢)

وسر قوله ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣) . وسر قوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وسر قوله ﷺ : « آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة »، وسر قوله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »، وسر قوله ﷺ : « أنا أول شافع وأول مشفع »، وسر قوله ﷺ : « أنا أول من يدخل الجنة »، وسر قوله ﷺ : « حرمت الجنة على الأنبياء حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي »، وسر قوله ﷺ : « أنا وأمتي على كومة عالية يوم القيامة في المحشر نرى جميع الأمم وكلهم يروننا ويودون لو كانوا منا » (٤) . وسر قوله ﷺ : « الأنبياء من الرحمة وأنا الرحمة »، وسر قوله تعالى

---

(١) ذكره صاحب كتاب نزهة المجالس .

(٢) أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبزار والطبراني والبيهقي .

(٣) أخرجه الإمام أحمد والخرائطي عن أبي هريرة .

(٤) ذكر في كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالي .

: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩) ، وسر قوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾(١٠) وسر قوله ﷺ : « اتخذ الله إبراهيم خليلاً واتخذ موسى نجياً واتخذني حبيباً ثم قال: وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي ». ولقد صرح بهذا الشرف ما رواه سليمان بن عساكر قال : « هبط جبريل على النبي ﷺ فقال : إن ربك يقول لك إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، ولقد خلقت الدنيا وأهلها ، لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ». وسر قول جبريل عليه السلام « قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد ﷺ ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم » (١١) . وسر قوله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار » .

وبعد فهذه أحاديث رسول الله ﷺ جاءت تارة مصرحة بهذه الحقيقة النورانية المحمدية، في جلاء ووضوح، وتارة جاءت ملفتة للنظر داعية إلى التأمل في مضمونها الذي يعمد هو الآخر إلى مس الحقيقة من طرف خفي، فجاءت الأحاديث النبوية التي وردت في هذا المقام متساندة في كشف الحقيقة بعد ما ألقت عليهاالضوء الأحاديث القدسية، وتكلم عنها القرآن الكريم من باب التلميحات والإشارات، فكان هذا هو صلب الكتاب ولقد جاءت ثماره وعطاءاته سهلة نهلة تجعل العقول تستقبلها في ارتياح مصدقة صدق ما فيها ذائقة حلاوة هذا الجني الذي مهد له باب العلوم الحديثة الذي خدم هذه الحقيقة النورانية المحمدية خدمة جليلة تذلل لعقول أبناء هذا العصر

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٢) سورة ال عمران : ١١٠

(٣) الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

الذي طغت فيه المادة، فهم وإدراك تلكم الغيبيات التي صعب على كثير من العقول فهمها إلا أنه بقي لنا أن نشاهد هذه الحقيقة في مشاهدات من عاصروا صاحبها ﷺ لتكمل لنا الصورة ولنعيش الحقيقة النورانية تحقيقاً مع الأدلة المرئية الكاشفة عن الحقيقة النورانية المحمدية، من خلال الأفعال والصفات المحمدية التي شاهدوها عليه والتي تعتبر من خصائص البشرية النورانية المحمدية فقط لأنها لم يشاركه فيها أحد ولم تظهر على أحد سواه ممن عايشوه.

فما هي هذه الأدلة المرئية التي تثبت هذه الحقيقة النورانية المحمدية في ثوب نوراني؟ فهذا ما حان تناوله بالحديث عنه راجين الله أن نوفق وأن نكون قد وفقنا في سابق فهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإني لأتعشم فيك أن تحقق قول من قال :

قل واستمع ذكر من أنواره لمعت   في الكائنات كشمس في السماء طلعت

وإني لأربأ بك أن تكون ممن خاطب الله تعالى نبيه ﷺ فيهم بمثل قوله : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾(١) . لأنهم حجبوا عن مشاهدة أنواره، وأخلاقه، وخصوصياته، فهم لا نصيب لهم فيه ولا في اتباعه والاقتداء به هذه حقيقة أطيب الخلق، الذي بنوره وبطيبه طاب كل شيء فهو ﷺ أصل الطيب حساً ومعنى فها هي ذي رائحته أطيب من كل طيب كما أثر عنه ﷺ كما أنه ﷺ حاز البهاء كله والضياء كله أضاء كل شيء حساً ومعنى بذلك جاءت الأحاديث وقررت الوقائع وأثبتت المشاهدات.

كما أنه ﷺ أنفس المعادن، وأنقاها وأخلصها، فاقتبسوا من نوره واغترفوا من بحاره وارتوا من معرفته، فإنه نور النور صلوات الله عليه وسلامه.

ألا فقد عرفت فالزم.

---

(١) سورة الأعراف : ١٩٨

فصل في المحبة والشوق والوجد

أجمعت الأمة على أن حب الله ورسوله فرض عين على كل أحد؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾(١) . وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾(٢) . وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(٣). وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أَحَبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين» (٤) . والمحبة ميل الطبع إلى الشيء لكونه لذيذاً عند المحب. فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي صبابة لانصباب القلب إليه بالكلية. فإذا قوي سمي غراماً؛ لأنه يلزم القلب كلزوم الغريم. فإذا قوي سمي عشقاً أي إفراطاً في المحبة. فإذا قوي سمي شغفاً؛ لأنه يصل إلى شغاف القلب من داخله. فإذا قوي سمي تتيماً أي تعبداً؛ لأنه يصير المحب عبداً للمحبوب فيكون ذلك المحب متيماً مأموراً ومغرماً مأسوراً لا يقر له قرار ولا يفرق بين النافع والضار. ولا تحصل حقيقة المحبة من العبد لربه إلا بعد سلامة القلب من كدورات النفس. فإذا استقرت محبة الله في القلب خرجت محبة الغير: لأن المحبة صفة محرقة تحرق كل شيء ليس من جنسها (وعلامتها) قطع شهوات الدنيا والآخرة. وقال يحيى بن معاذ: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين. وعجبت كيف تدعي محبة الله من غير اجتاب محارمه. فمن ادَّعى محبة من غير اجتناب الشهوات فهو كذاب. ومن ادعى محبة الجنة من

---

(١) سورة البقرة : ١٦٥

(٢) سورة المائدة: ٥٤

(٣) سورة آل عمران: ٣١

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة

غير إنفاق ملكه فهو كذاب. قالت رابعة:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه　　　هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته　　　إن المحب لمن يحب مطيع

وقيل: ظاهر المحبة رضا المحبوب، وباطنها إعطاء القلب إلى المحبوب بحيث لا يبقى فيه بقية لغيره، قال بعضهم:

وليتك تحلو والحياة مريرة　　　وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر　　　وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين　　　وكل الذي فوق التراب تراب

(غيره)

بحث الهوى يا أهل ودي تفقهوا　　　لسان وجودي في الوجود عجيب
حرام على قلب تعرض للهوى　　　أن يكون لغير الله فيه نصيب

(غيره)

أحبك لا أرجو بذلك جنة　　　ولا أتقي ناراً وأنت مراد
إذا كنت لي مولى فأية جنة　　　وأية نار تتقى وتراد

وقال سهل بن عبد الله: ما من يوم إلا والجليل سبحانه وتعالى ينادي: عبدي ما أنصفتني. أذكرك وتنساني، وأدعوك إليَّ وتذهب إلى غيري، وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا. يا ابن آدم ماذا تقول غداً إذا جئتني ؟ وقال بعض العارفين حاكياً عن الله تبارك وتعالى عبدي خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فاشتغلت بما خلقته لك عني؛ فإذا اشتغلت بالنعمة عن المنعم. وبالعطايا عن المعطي فما أديت شكر نعمته، ولا راعيت حرمة عطائه لأن كل نعمة شغلتك عني فهي نقمة، وكل عطية ألهتك عني فهي بلية:

إتخذ طاعة الإله سبيلاً　　　تجد الفوز بالجنان وتنجو
واترك الإثم والفواحش طر　　　يؤتك الله ما تروم وترجو

واعلم أن المحبين على ثلاثة أقسام: عوام، وخواص، وخواص الخواص فأما العوام فمحبتهم له تعالى لوفور إحسانه. وأما الخواص. فمحبتهم خالصة عن الشوائب. وأما خواص الخواص. فمحبتهم عبارة عن التعشق الذي به يمنحي العاشق عند تجلي نور معشوقه؛ فإذا علم المحبوب صدق محبه في محبته رفع بينه وبينه الحجاب، فأطلعه على أسراره وكشف له عن علوم غامضة وأسرار عالية.

(شعر)

بين المحبين سر ليس يفشيه خط ولا قلم عنه فيحكيه
نار تقابله أنس يمازجه نور يخبره عن بعض ما فيه
شوقي إليه ولا أبغي له بدلا هذي سرائر كتمان تناجيه

(شعر)

يا خالق يا من لا شريك له طوبى لمن عاش بين الناس يهواكا
إني لأعجب ممن قد رأى طرفاً من طرف لطفك ربي كيف ينساكا
والله ما فرحت روحي ولا أنست في الدهر ما بقيت إلا بذكراكا
وكيف تأنس روح العارفين وإن دام السرور لهم إلا بلقياكا

(غيره)

كيف تبقى للعاشقين ذنوب وهي من حرقة الفؤاد تذوب
كيف ينسى المحب ذكر حبيب واسمه في فؤاده مكتوب

ويروى أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاء لقبض روحه. هل رأيت خليلاً يميت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه ؟ فقال يا ملك الموت الآن فاقبض (وحكي) عن عبد الباري، قال: خرجت مع أخي ذي النون فإذا نحن بصبيان يرمون واحداً بالحجارة فقال

لهم أخي ما تريدون منه ؟ قالوا. هذا رجل مجنون، ومع ذلك يزعم أنه يرى الله تعالى، قال. فدنونا منه؛ فإذا هو شاب وسيم ظهر عليه سيما العارفين، فسلمنا عليه وقلنا. إنهم يزعمون أنك تدعي رؤية الله تعالى. فقال. إليك عني يا بطال لو فقدته أقل من طرفة عين لمت من ساعتي وأنشأ يقول:

طلب الحبيب من الحبيب رضاه ومنى الحبيب من الحبيب لقاه
أبداً يلاحظه بعيني قلبه والقلب يعرف ربه ويراه
يرضى الحبيب من الحبيب بقربه دون البعاد فمن يريد سواه

فقلت له. أمجنون أنت ؟ فقال. أمَّا عند أهل الأرض فنعم، وأما عند أهل السماء فلا. قلت. فكيف حالك مع المولى ؟ فقال. منذ عرفته ما جفوته فقلت. منذ كم عرفته ؟ قال. منذ جعل اسمي في المجانين. وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال. يا داود (بَلِّغْ أَهْلَ أَرْضي أني حَبِيبٌ لمَنْ أَحَبَّنِي وجَليسٌ لمَنْ جَالسني ومؤنِسٌ لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمَنْ اختَارَني ومطِيع لمَنْ أطاعني ما أَحبَّنِي عبد أعلم ذلك يقيناً من قَلْبِه إلا قبلته لنفسي وأحببته حباً لا يتقدم عليه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الأرضِ ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي وائتنسوا بي أُونسكم وأسارع إلى محبَّتكم فإني خلقت طينة أحبَابي من طينة إبراهيم خَليلي وموسى نجيي ومحمد صفوتي إني خَلَقْتُ قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي) (وأما الشوق) فهو انجذاب القلب إلى مشاهدة المحبوب ويقال هو نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق به ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات وهو ناشيء عن المحبة فإذا بلغه العبد استبطأ الموت شوقاً إلى ربه، وأخذ في التواجد والتطاير إلى حضرة قربه. قيل لبعض الحكماء: لو شاء الله أن يديم البقاء لأوليائه في الدنيا فقال: (يأبى الله أن يجعل الخلود لأوليائه في الدنيا، بل اختار لأوليائه وأحبابه ما عنده من جزيل كرامته،

أما تعلمون أن الحبيب يشتاق إلى حبيبه فطوبى لمن كان رَوحه وراحته في لقاء الله). ولما احتضرت السيدة نفيسة وهي صائمة ألزموها الفطر، فقالت: واعجباه! إني منذ ثلاثين سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة أفأفطر الآن ؟ هذا لا يكون، ثم أنشدت تقول:

(إصرفوا عني طبيبي ودعوني وحبيبي)
(زادني شوقي إليه وغرامي ونحيبي)

ثم ابتدأت في سورة الأنعام، فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) خرج السر الإلهي. وقالَ الجنيد: دخلت على السريِّ السقطي في مرضه فقلت له: كيف تجدك ؟ فقال:

كيف أشكو إلى الطبيب لما بي والذي قد أصابني من طبيبي
ليس لي راحة ولا لي شفاء من سقامي إلا بوصل حبيبي

(وحكي) أن رجلاً من أهل البصرة بكى لشوقه حتى ذهبت عيناه ثم قال: إلهي إلى متى لا ألقاك، فبعزَّتك لو كانت بيني وبينك نار تلتهب ما رجعت عنك بعونك وتوفيقك حتى أصل إليك، ولا أرضى منك بدونك. (قال) إبراهيم بن أدهم: دخلت جبل لبنان فإذا أنا بشاب قائم يقول: يا من قلبي له محب، ونفسي له خادمة، وشوقي إليه شديد متى ألقاك ؟ فقلت: رحمك الله ما علامة حب الله ؟ قال: حب ذكره. قلت: فما علامة المشتاق ؟ قال: أن لا ينساه في كل حال. وقيل: جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن المبارك فقال رأيت في المنام أنك تموت بعد سنة، فلو استعددت للخروج!! فقال له عبد الله بن المبارك: لقد أجَّلتنا إلى أمد بعيد أعيش أنا إلى سنة ؟ لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقفي، يعني أبا علي:

يا من شَكا شَوقه من طول فرقته إصبر لعلك تلقى مَنْ تحب غدا

(١) سورة الأنعام : ١٢٧

وقال فارس: قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول: هؤلاء المشتاقون إليَّ، أشهدكم يا ملائكتي أني إليهم أشوق. وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء. (وأما الوجد) فهو وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها فيدهش الروح أو يظهر ذلك على الجوارح فيهتز الرأس ويشطح البدن. وهو ثابت بالكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾(١) وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٢) فإن صاحب الخشوع القلبي والوجل بذكر الله تعالى قد يغيب عقله عن احترام الناس واعتبار أهل المجلس فيقوم ويقعد ويدور ويتواجد وربما يسقط على الأرض على حسب قوة استعداده لتحمل الواردات الإلهية عليه فهو في طاعة وعبادة من غير شبهة عند كل أحد من أهل الإسلام والإيمان، ولا يجوز سوء الظن به ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٣) وفي بعض الآثار (جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين) وذكر في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عليّ كرم الله وجهه قال (أتيت النَّبي ﷺ وأنا وجعفر وزيد فقال النَّبي ﷺ لزيد: أنت مولاي فحجَل فقال لجعفر: أنت أشبهت خَلقي وخلقي فحجل. ثم قال لي: أنت منِّي فحجلت) والحجْل هو. رفع رجل ومشى على الأخرى وهو من نتائج التواجد، وقد صح عن بعض الصحابة التواجد فلا يجوز سوء الظن بأهل التواجد لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (٤) فإن سوء الظن بالمسلم حرام قطعاً، والتأويل واجب

(١) سورة الحديد : ١٦

(٢) سورة الأنفال : ٢

(٣) سورة الزمر : ٢٢

(٤) سورة الحجرات : ١٢

في أقواله وأفعاله، وقد يحصل من المريد في حال الجذبة صراخ وتخبُّط وصرع وبكاء فأدبه في ذلك الوقت أن يسلم نفسه لوارده يتصرف فيه كيف يشاء ولا يمنع نفسه من الصراخ والبكاء لئلا يتضرر، وللمريد الصادق أن يتواجد لطلب الحقيقة بمنزلة التباكي المأمور به لما روى موقوفاً على أبي بكر وأبي موسى وعبد الله ابن عمرو. (إبْكوا فإنْ لم تَبْكو فَتباكُوا) رواه أحمد في الزهد. قال بعض العارفين. إن العينين لا تبكيان حتى يأتي ملك من الله فيمسح القلب بجناحه فتبكي عينا قلبه فيظهر ذلك في عيني رأسه فإذا تمكن منك هذا الوجد أدهشك فإذا أدهشك حيَّرك فأنت ههنا مريد فإذا دام تحيرك أخذك منك وسلبك عنك فتبقى مسلوباً ثم مجذوباً وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إلى شيء من ذلك حيث قال:

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله ... إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا ... ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى ... إذا ذكر الأوطان حن إلى المغنى
يفرِّج بالتغريد ما بفؤاده ... فتضطرب الأعضاء في الحس والمعنى
ويرقص في الأقفاص شوقاً إلى اللقا ... ويطرب أرباب العقول إذا غنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى ... تهزهِزها الأشواق للعالم الأسنى
أنلزمها بالصبر وهي مشوقة ... وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
فيا حاديَ العشاق قم واحدُ قائماً ... ودندن لنا باسم الحبيب وروِّحنا
وصن سرنا في سكرنا عن حسودنا ... وإن أنكرت عيناك شيئاً فسامحنا
فإنا إذا طبنا، وطابت قلوبنا ... وخامرنا خمر الغرام تهتكنا
فلا تلم السكران في حال سكره ... فقد رفع التكليف في سكرنا عنا
وسلم لنا فيما ادعيناه إننا ... إذا غلبت أشواقنا ربما بحنا
شربنا طربنا ثم همنا صبابةً ... فبالله يا خالي الحشا لا تعنفنا

وقال بعض العارفين. سبب اضطراب الإنسان بالصوت الحسن أن الروح تتذكر لذيذ الخطاب يوم ﴿ألست بربكم﴾ حين أخرجت من صلب آدم. وخوطبت بذلك فتحنُّ لما تتذكر ذلك.

(قال الإمام شيخ الإسلام العز بن عبد السلام)

ما في التواجد إن حققت من حرج ... ولا التمايلِ إن أخلصت من باس
إن السماع صفاء نور صفوته ... يخفى، ويحجب عمن قلبه قاسي
نور لمن قلبه بالنور منشرح ... نار لمن صدره وسواس
راحٌ وكؤوسها الأرواح فهي على ... قدر الكؤوس تريك الصفوفي الكأس
حادٍ يكرك العهد القديم، وإن ... تقادم العهد ما المشتاق كالناسي
فليس عار إذا غنى له طرباً ... يئن بالناس لا يخشى من الناس

(وقال سيدي عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى)

إن كاس التوحيد من يحتسيه ... قاء منه معارفاً وعلوماً
كن بصيراً ولا تلُم أهل سكر ... بشراب التقى تصير الملوما
شرِبَ الغر كأس شمس فقام اللـ ... ـيل سكران ثم قاء النجوما

وقال الجنيد لا يؤذن لمريد في السماع إلا إذا كان يرسل وجْده إذا شاء، ويقبضه إذا شاء: ومن علامة صحة الوجد أن يعطَى قوة في حال سماعه زائدة على قوته في حال الصحو كأن يحمل صخرة عظيمة، أو يقلع شجرة كبيرة من أصلها أو نحو ذلك، وكان الشيخ أبو الحمائل رضي الله عنه، وهو ابن نحو مائة سنة يحمل زير الجامع وهو ملآن، ويدور به في حال السماع، وكان إذا صحا يعجز عن حمل إبريقه للوضوء.

تقريظ

ومنذ أيام قليلة ناولني أحد الفضلاء عملاً له في هذا المنوال سماه « خواطر » عن الإسراء والمعراج ففتحته فإذا به مندرج في هذا الباب جامع لما لذ وطاب، ثم علمت بعد ذلك أن هذا العمل ما هو إلا حلقة من سلسلة من الأعمال والكتابات الطيبة لذلك الأخ حول السيرة النبوية ومناقب آل البيت الكرام، جزاهم الله عنا خيراً، كسيدتنا خديجة وابنتها الغراء السيدة فاطمة الزهراء ومناقب سيدنا حمزة ـ سيد الشهداء ـ وسيدنا عبد الله بن عباس وأشياء أخرى تتعلق بالاحتفال بالمولد الكريم، فجزى الله مقدم هذه الأشياء وجامعها أحسن الجزاء.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نشكر صاحب هذه الأعمال الطيبة، الفاضل الطيب « أبو وائل » واصف أحمد فاضل كابلي، نشكره أصالة عن أنفسنا ونيابة عن جميع المحبين الذين يتطلعون إلى مثل هذه الفوائد ويستفيدون منها.

سائلين الله أن يبارك في وقتنا وإياه ويديم علينا حفظه ومدده الدائم ويسقينا من حبه ومن حب رسوله، سيد الأنام، محمد بن عبد الله عليه أكمل الصلاة والسلام وعلى آله والتابعين لهم بإحسان أبداً.

أبا وائل يا واصفُ نجلُ فاضلٍ ... سموت لشيء ما له من مناضل
جمعت مهماتِ الخواطر عن سرىً ... رسول إله العرش خير الوسائل
وألفت قبل اليوم عن أَهل بيته ... وعن عمه المقدام بعض الرسائل
بفكرك فضل المصطفى حيثما غدا ... ولو كان منك الجسم بين المنازل
وهل يستوي من كان بالفضل فكره ... ومن هو لا يسلو جهان العلائلي
وهل يستوي باني الفضائل والذي ... يعد لهم الفضل بعض المعاول
صلاة على المختار والآل كلهم ... من الصحب من خاضوا بحور الفواضل

كتبه عبد ربه المتلهف إلى قربه
محمد إبراهيم محمد عمران
بإدارة البحوث ـ دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دبي

تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

لست أدري هل نحن في العيدين   أم وقفنا في ساحل البحرين ؟
وصفا الراح للمحبين طرا   وسقينا في الحب من كأسين
وانسجمنا في حب أهل المعالي   حيث ضاءت لنا من المشرقين
وإذا الحب كان للهِ صِرْفا   فيفوز المحبوبُ في الدارين
حبنا في الكريم جل علاه   وهو رب الأرضين والمغربين
ثم تسري تلك المحبة فينا   للنبي ثم الحسن والحسين
أيها الواصف الذي قد تسامى   هاك مدحا يا صاح في البيتين
نحن عشنا وفي محبة طه   لا نبالي يا صاح من كل شين
والعنايات قد أتتنا جميعا   والفيوضات أمره أمرين
إن تسل عنا فنحن كرام   وغدونا في الكون كالبدرين
ما لنا مقصد سواه فهذا   أفضل الخلق طيِّب الأبوين
قد سألناكَ يا إلهي بـ (طه)   ربنا اقض بالمصطفى كل دين
واهدنا ربنا سبيل التلقي   والترقي والفوز في النشأتين
طول عمر في سرور وأنس   ومن الخير رب أملي بدين
ورضاك ياً رب نرجوه دوما   ورضا المصطفى مع الوالدين
واجتمعنا وكان في الوصل سر   واجمع الشمل ربِّ في الحرمين
وصلاة مع سلام دواما   للنبي المحبوب قرة عين
وعلى الآل والصحابة طرا   كلما ضاء في الدنيا القمرين
وجزى الله مَنْ دعانا لهذا   لاجتماع الأحباب في البحرين

حسن محمود شداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صفا البحر لكن قبله قد صفا القلب ... فبشرى لقوم قد رضي عنهم الرب
محبتنا في المصطفى هو مقصدي ... يزول بحب المصطفى الهم والكرب
أضاءتْ الأكوان بالنور والصفا ... وسر عظيم ليس يحجبه الحجب
ألم تر أنَّا في المحبة دائما ... فيهم بحب المصطفى ذلك الوهب
وقد لاحت الأنوار من كل جانب ... بنور عظيم دونه الشمس والشهب
شمائله تنبيك عن حسن وصفه ... فضائله من دونها اليم والسحب
عنايات رب العالمين تواترت ... فلا الهم يأتينا ولا الغم والنصب
تحدثنا الأكوان عن حسن خلقه ... تسود به الأعجام والترك والعرب
ومن فيضه الفياض فاضت مشارب ... فيا حبذا فيض ويا حبذا الشرب
عليك صلاة الله والآل بعده ... وأصحابه الأمجاد يا نعم ذو الصحب
ونختمها بالحمد لله دائما ... بأفضاله ما أوسع الفضل والرحب

حسن محمود شداد

تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم البديع الذي جعل النور جزءاً من إبداعه نستلهم منه المدد والعون ونصلي ونسلم على إنسان عين الوجود، عليه وعلى آله آل النور والإبداع وأصحابه والمحبين صلاة ورضوان ربي عليهم إلى يوم الدين.

وبعد...

أيها القارىء الكريم المتحمس للنور في خواطر الأنوار والأسرار أعرني أذن فؤادك وحسك المرهف ووعيك الحاضر لتلتقط من مواضع الإشارات رموز الفهم والتلقي التي أحدثتها خاطرة النور وومضة الإشراق، والتي بها أعاد صاحبها إلى صورة الطيور التي ترحل لا يحبسها الزمان ولا المكان ولا الأخوان ورحيلها إلى أرض تكثر فيها التجليات والتنزلات والفتوحات والمكاشفات ووقت تصفو فيه التوجهات وتصافي فيه النفحات، إنهم هم القوم الذين تخرج من مدرستهم وشرب من كأس صفوهم الأخ الكريم.. واصف، إنها المدرسة التي ترحل منهم قلوبهم في أرض الله الواسعة طلباً لرزقها الإلهي وأبدانهم تتبع القلوب في تقريبها وتشريفها... لهم قلوب ترحل كلما لمع لها قبس من جانب الطور علها تعود بخبر يوصل وإن لم يكن وصل فبوعد.

كل هذه المقدمة ليست إلا تشوق وتشوف لتقرأ هذه الخواطر وقد أعلمت ذوقك أولاً لأن قائلهم قال:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه صار بالروح يفديه

وبعد ذلك ستجد كاتب الخواطر يأخذ بالعقل عنوه ليجعله يدرك أسرار الأذواق ويقف على بعد المرمى فيجتمع العقل بالذوق هنا يحدث الوعي وفهم القلب الذي عناه علام الغيوب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

وعندما تتجول مع أبي وائل تجده يقتدي بالتكريم القرآني الإلهي للعقل فيأخذ بزمامه نحو الجانب التطبيقي العملي العلمي.

عند ذلك يرتاح جنانك حيث أن الخاطرة منبعها الحس الذوقي وبعد ذلك تتربع على كرسي العقل عند ذلك تدخل القلب دون استئذان فتعشقها. فتصبح بعد ذلك موجدة من المواجيد التي لا تكيف ثم تدخل مرحلة المعايشة فتغدو لقارئها حالاً وديدناً.

والأمان كل الأمان أبا وائل يتجول بنا داخل الإطار الإلهي الذي تولت الذات حفظه بنفسها ولم تتركه لأيدي البشر وأحاطته بسياج من الحماية من كل متسلل من الإنس والجن وجعلته دائم التنزل في عالم المعاني على سماء عروش قلوب المحبين وأعطته الصفة العالية على الدوام وكفته شر الزيادة والنقصان والإتيان من بين يديه ومن خلفه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

فتتجول أبو وائل وقد منحك الله إزالة مغاليق القلوب فأشرقت أنوار الآيات تزيل اللثام عن النور في كل الأشياء لتحسسها الفؤاد عن معاينة ملموسة في دنيا التجريب.

وما دخل على النور إلا بنور ففاض الإناء بما يحمل من عطاء وقال الشاعر : (وكل إناء بما فيه ينضح) والنور كما نعلم نوران نور المحسوسات والنور الذي تبصر الأشياء حتى لا يحدث الاصطدام الكوني ونور المعنويات الذي به نبصر حقائقنا وفيم ينسجم بها النظام الكوني وتحدث المصالحة مع النفس البشرية في سلام اجتتماعي ذو وفاق دائم يهدف الوصول بالإنسان إلى إدراك قيمة الإنسان وتجميع إنسان محمد في الأكوان الذي جعله الله النموذج الأكمل فإن الله جعله نور الأنوار ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ وجعل بهذا النور الذاتي إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

إذن نور المحسوسات ونور المعنويات اللازمين لإنسانية الإنسان على الأكوان

أعلن عنها الحق في آية سورة النور منبع أبو وائل وإطاره ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ .

ليس لي الآن إلا الدعوة لك أيها القارىء النوراني الكريم لتتجول مع أبي وائل في عالم أنواره وأسراره، علك ترضى بأن تضم نورك إلى نوره في مشروعه النوراني الذي يقصد إلى تعميق وتجميع عائلة النور المحمدي المنتشر فيكم أحباب النور المحمدي ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ .

وهذا التجمع النوراني مطلوب لنا ونحن على مشارف قرن تميز بالتجمع والتكتلات والأحلاف وبالتحدي للعالمين بما يحمل من رياح العولمة التي سرت وانتشرت في مناحي الحياة ولا بد للنور الإلهي بكم يا أحباب تلك الخواطر من أن تستوعبوها وتهذبوها ويتقلب نور معنانا بنور معناها ليحق الله الحق بكلماته.

فلا حق قائم ولا تحدي فاشل ولا استيعاب لعولمة عصرنا إحقاقاً للحق الذي ماقامت السموات إلا بكلماته.

وتلك مفاهيم من كلمات أنواره فاض بها كأس محبه أبي وائل فخرجت تلك النفثات ملتهبة وغدت لسان حال حالها. فأعطها حسك ومواجيدك تجدها منك وإليك حباً وشوقاً يجمعاً ليوم الجمع الذي وعدنا فيه الحق حين قال ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ ﴾ .

وأودعكم مع البشرى وبشرى وبشرى النور في الكتاب.

أخوكم المحب
فتحي الحلواني
الواعظ بأوقاف دبي

تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا ونبينا الأمين محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن هذه الخواطر تعتبر كناشة عصرية، قيد فيها صاحبها الموفق السيد/ واصف أحمد فاضل كابلي، فوائد ذو قيمة راقية وتجارب روحية سامية، طافت بخاطرة في لحظات الصفاء النفسي والتألق الذهني، فانسابت هادئة كخيوط الفجر الصادق عندما تشق دجى الليل. لقد انسابت هذه الخواطر إنسياب المطر على رؤوس الجبال فسالت على أثرها أدوية القلوبلا وعلى شعاب النفوس إنها ـ إن شاء الله ـ خواطر خير وبركة تروي منابت الأفكار فتثبت أشجاراً للمعرفة مباركة طيبة، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نور، نور لأنها خواطر في الأنوار والأسرار.

نعم هي خواطر في الأنوار والأسرار، بيد أنها متباينة القوة، متفاوتة الوضوح، شأنها في ذلك شأن كل إنتاج بشري غير معصوم فمنها خواطر رائعة رائقة قوية متماسكة، ومنها خواطر دقيقة جداً حتى أن دقتها المتناهية قد جعلها غير ظاهرة، لكن شفافية قلب كاتبها المنعكسة على كلماته المتألقة جعلها غير خافية لمن وفقه الله لفهم النورانية الأصيلة وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الآثار المتنازع عليها بين اهل التصوف وأهل الأثر قد غطت بعض الجوانب من هذه الخواطر الأمر الذي سيجعل قبولها أمراً مشكوكاً فيه حتى عند من لا يختلف مع مجمل هذه المجموع، لكن ذلك لا يمنع من أن يذكر للكاتب الفاضل أنه قد بذل جهداً طيباً في التماس أسلم الطرق إلى مصادر النقل دوماً لصحة المنقول أو حسنه.

وعلى أقل تقدير يأتي بالضعيف المختلف عليه دون أن يسرف في نقل الموضوع وهذا أمر في غاية الأهمية. كما ويذكر حسن تنظيره الفكري وطرحه المنطق السليم في معظم المواضع التي أدلى فيها برأيه.

لذلك كله يسعدني أن أقول:
إن قارىء هذه الخواطر سوف لا يخلو من متعتين، عقلية، وروحية، فقد انطوى هذا العمل على شيء غير قليل من الشفافية والصفاء والإخلاص.
فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعطي الكاتب على قدر نيته فيجزيه خيراً في الدارين ويحقق لنا وله آمالنا في التحقق الكامل بالمحبة الصادقة لله ولرسوله وآل البيت الطاهرين والصحابة أجمعين وسائر المؤمنين... آمين.

كتبه
إبراهيم شعيب المالكي
مكة المكرمة ٢/جمادى الأولى/١٤٢٠هـ

الفهرس

الباب الثاني
الإسراء والمعراج

الباب الثالث
الأولياء

الباب الرابع
التوسل

الباب الخامس
يوم الجمعة

الباب السادس
الحقيقة النورانية المحمدية

السيرة الذاتيه للمؤلف

– من مواليد مكة المكرمة في ١٣٦٧/٧/١ هـ الموافق ١٩٤٨/٥/١٠ م .

– درس جميع مراحل حياته في الحجاز في أحضان البيت العتيق على جميع المذاهب والمدارس الفكرية حتى حصل على البكالوريوس من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة في الاقتصاد والإدارة في عام ١٣٩٣هـ .

– حصل على شهادة الدكتوراه الفخريه في فلسفة السيرة النبوية من جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة في لبنان بمرتبة عالم في كانو الثاني/ ٢٠٠٤ م .

١–مطوف – وعضو في مؤسسة مطوفي الدول العربية .

٢–شغل مناصب عديدة في المؤسسة العامة لتحلية المياه عام ١٣٩٥ هـ .

٣–عمل في التجارة منذ عام ١٣٨٤ هـ في مكة المكرمة.وأصبح تاجراً في جدة منذ عام ١٣٩١هـ

٤–عضو مجلس إدارة المصانع السعودية للمباني الجاهزة (أبسف) .

٥–رئيس مجلس إدارة شركة الكابلي التجارية .

٦–المالك لجميع مؤسسات الكابلي التجارية – بفروعها العشرة بالمملكة

٧–مستشار أربطة التربية الإسلامية بعدن .

٨–رئيس منتدى الروضة الثقافي، والمضيف له منذ ١٤٢٣هـ .

٩–رئيس فرقة الحجاز للإنشاد والتراث من عام ١٤٢٣ هـ .

١٠–رئيس مجلس إدارة مركز أمل جدة للمعاقين للبنين .

١١–رئيس مجلس إدارة مركز جدة لذوي الاحتياجات الخاصة للبنات.

١٢–قام برحلات عديدة، بهدف البحث والاستكشاف، في العديد من دول العالم وعبر مختلف القارات براً وبحراً وجواً منذ عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

١٣–عضو المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية من عام ٢٠٠٦م.

١٤–عضو في الإصلاح ذات البين المنبثقة من المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب .
١٥–نائب رئيس اللجنة التجارية بالغرفة التجارية بجدة .
١٦–نائب رئيس مجلس الأعمال السعودي البولندي بمجلس الغرف التجارية بالرياض .
١٧–عضو في اللجنة الوطنية التجارية بمجلس الغرف السعودية بالرياض
١٨–عضو في الجمعية السعودية للغذاء والتغذية بالرياض .
١٩–عضو مجلس أمناء جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة .
٢٠–عضو في جامعة دار الحكمة الكندية المفتوحة بكندا .
٢١–يستضيف مجالس دورية عديدة في السيرة النبوية والإنشاد وندوات لمختلف الاتجاهات للتوفيق بين المذاهب، منذ عام ١٤٠٠هـ .

•شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والدعوية منها:

١–المؤتمر الدولي السابع عشر للوحدة الإسلامية في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بجمهورية إيران الإسلامية .
٢–مؤتمر (ملتقى العلماء بدار المصطفى بتريم للدراسات الإسلامية) بالجمهورية اليمنية.
٣–مؤتمر الدولي العشرين للوحدة الإسلامية في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب.
٤–مؤتمر الدوحة السنوي لحوار الأديان .
٥–المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار بين الأديان بمكة المكرمة لعام ١٤٢٩هـ .
٦–منتدى جدة البيئي ٢٠٠٨م .
٧–المنتدى السعودي الدولي الأول للموانى والنقل البحري لعام ٢٠٠٨م .
٨–المؤتمر الاستشاري السعودي الباكستاني لعام ٢٠٠٨م .
٩–المؤتمر الروسي (روسيا والعالم الإسلامي) لعام ٢٠٠٨م .

١٠ – المؤتمر الدولي الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي بتريم .
١١ – عضو مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني (الصالونات الثقافية) .
١٢ – عضو جمعية إبصار الخيرية .
١٣ – عضو جمعية مركز أمل للمعاقين .

• له عدة مؤلفات، طبع منها ما يلي:
١ –هل نحتفل ؟ لماذا نحتفل ؟ نعم نحتفل .
٢ –سيرة سيد الأولين والآخرين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم .
٣ –سيرة سيدنا حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن العباس رضي الله عنهما .
٤ –سيرة سيدتنا فاطمة رضي الله عنها .
٥ –سيرة سيدتنا خديجة أم المؤمنين رضوان الله عليها .
٦ –قرة كل عين في مناقب الحسن والحسين .
٧ –غاية المطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .
٨ –سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام .
٩ –حياتنا الزوجية .
١٠ –خواطر في الأنوار والأسرار .
١١ –الأربعين الكابلية .
١٢ –رسائل هامة في الصلاة .
١٣ –الخواص العظمى في أسماء الله الحسنى .
١٤ –خواص السور القرآنية.
١٥ –قصيدة أسماء الله الحسنى .
١٦ –الأوراد والأحزاب المروية .
١٧ –أناشيد فرقة الحجاز .
١٨ –سراج المريدين في الصلاة على خير المرسلين.
١٩ –الطبع يغلب التطبع في الأبراج وخواصها.
٢٠ –الحزب النوراني المنيع والآيات المنجيات .

٢١- (أم لأمه) السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

- يمارس النشاط التجاري من عام ١٣٨٤هـ وصاحب علامة تجارية مسجلة رسمياً في العديد من الدول ووكيلاً للعديد من الشركات العالمية.